الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي- الأغواط

كلية العلوم الإسلامية والحضارة

مدخل إلى

أُصُولِ التَّفْسِيرِ

تأليف

البخاري السِّباعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن علم أصول التفسير يعدّ من أجلّ العلوم الشرعية وأعظمها أثرًا في فهم كلام الله تعالى، إذ يُعنى بوضع القواعد والضوابط التي تضبط عملية التفسير وتوجّهها الوجهة الصحيحة، بعيدًا عن الانحراف والتأويل الباطل. وهو بذلك يشكّل المنهج العلمي المنظم الذي ينبغي لكل مفسرٍ وطالب علم أن يستند إليه قبل الخوض في معاني كتاب الله.

لقد جاءت هذه المحاضرات الخمسة عشرة لتقدّم تصورًا منهجيًا متكاملاً لمباحث أصول التفسير، يجمع بين التحرير العلمي الرصين والعرض الأكاديمي الميسّر، بحيث يتيح للطالب الجامعي تكوين أساس معرفي قوي في هذا العلم الجليل.

وقد رُوعي في إعدادها الجمع بين الموروث التفسيري الأصيل وبين التأصيل الأصولي والمنهجي الحديث، مع الاستناد إلى أبرز المصادر المعتمدة عند العلماء قديماً وحديثاً؛ من كتب التفسير، وعلوم القرآن، وأصول التفسير، مع ذكر الشواهد التطبيقية والتمثيلات الواقعية، ليكون هذا العمل حلقة وصلٍ بين النظرية والتطبيق.

وتتناول هذه المحاضرات القضايا الآتية:

- تعريف أصول التفسير وأهم مراجعه،
- حكم التفسير وأقسامه وطرقه،
- مصادر التفسير: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، واللغة،
- الرأي والاجتهاد، والإسرائيليات، واختلاف السلف،
- الإجماع، والأصول الجامعة التي يدور عليها التفسير،
- ثم بيان توجيه أقوال المفسرين، والقراءات، والأقوال الشاذة.

وختامًا بتطبيقات عملية على سور وآيات مختارة تُبرز كيفية توظيف القواعد النظرية في تفسير النص القرآني وفق منهج علمي أصيل.

المحاضرة الأولى: "مفهوم أصول التفسير وأهم مراجعه"

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو أعظم مصدر للهداية والتشريع والمعرفة في حياة المسلمين، ولا سبيل إلى الاستفادة منه إلا عبر فهمٍ صحيحٍ لمعانيه يضبطه علم راسخ وقواعد منهجية متينة. ومن هنا نشأ علم التفسير، ذلك العلم الذي عُني ببيان مراد الله تعالى من آيات كتابه العزيز، واكتشاف دلالاتها وأحكامها ومعانيها. غير أن المفسرين –قديماً وحديثاً– لم يسيروا على نهج واحد في فهم النص القرآني، بل تباينت مناهجهم ومصادرهم، مما أوجب على العلماء وضع قواعد وضوابط تُنظّم عملية التفسير، وتحدد طرق الاستدلال والفهم، وتعين على التمييز بين التفسير الصحيح والتفسير المنحرف. وهذا هو المقصود بعلم أصول التفسير.

ويُعدّ هذا العلم من أهم العلوم الممهدة للطالب في ميدان الدراسات القرآنية، إذ لا يمكن للمفسّر أن ينجح في فهم القرآن وتدبّره دون الإحاطة بمناهج التفسير وقواعده وضوابطه، تمامًا كما أن الفقيه لا يستغني عن أصول الفقه في استنباط الأحكام الشرعية. ولذلك فإن دراسة "أصول التفسير" هي بمثابة المفتاح الرئيس الذي يفتح للطالب باب التعامل مع كتاب الله عز وجل وفق ضوابط صحيحة ومنهج راسخ.

موضوع هذه المحاضرة هو: "مفهوم أصول التفسير وأهم مراجعه"، وهو من الموضوعات المركزية التي تهيئ الطالب لفهم علم التفسير وضبط مناهجه.

أولًا: تعريف أصول التفسير

- "الأصول": جمع أصل، وهو ما يُبنى عليه غيره.
- "التفسير": بيان معاني القرآن الكريم، وكشف المراد منه.
- "أصول التفسير": القواعد والمناهج والضوابط التي يعتمد عليها المفسِّر في فهم القرآن الكريم وبيان معانيه.

بالتعبير الأكاديمي: هو -العلم الذي يبحث في القواعد العامة والضوابط الكلية التي تُعين على الفهم الصحيح للقرآن الكريم، وتحدد مناهج المفسرين وطرقهم-.

الفرق بين أصول التفسير وعلوم القرآن

- "علوم القرآن": أوسع، إذ تشمل كل ما يتعلق بالقرآن من حيث نزوله، جمعه، إعجازه، أسباب نزوله، ناسخه ومنسوخه... إلخ.

- "أصول التفسير": أخصّ، إذ تُعنى فقط بالقواعد التي يعتمدها المفسّر في تفسير النص القرآني.

ثانياً: أهمية دراسة أصول التفسير

1. "ضبط مناهج المفسرين": فالتفسير بلا أصول قد يوقع في الانحراف.
2. "حماية من التفسير بالرأي المذموم".
3. "الجمع بين النصوص" وعدم التسرع في الأخذ ببعضها دون بعض.
4. "التأصيل العلمي" للطالب الجامعي حتى لا يعتمد على الفهم السطحي للنص القرآني.

قال ابن تيمية: -"أصح طرق التفسير أن يُفسّر القرآن بالقرآن، فإن لم يجد فبالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم باللغة العربية"- ([1]).

ثالثاً: أهم المراجع في أصول التفسير

1- "المصادر التراثية"

- -مقدمة في أصول التفسير- لابن تيمية (ت 728هـ).
- -البرهان في علوم القرآن- للزركشي (ت 794هـ).
- -الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي (ت 911هـ).
- -جامع البيان عن تأويل آي القرآن- للطبري (ت 310هـ) – وإن لم يكن خاصًا بالأصول، لكنه أصل في مناهج التفسير.

2- "المصادر المعاصرة"

- عبد الرحمن حبنكة الميداني، -قواعد التفسير-.
- مساعد الطيار، -فصول في أصول التفسير-.

[1] مقدمة في أصول التفسير، ص. 34

- فهد الرومي، -بحوث في أصول التفسير ومناهجه-.

خاتمة

علم "أصول التفسير" هو المفتاح الصحيح لولوج باب التفسير، إذ يضع القواعد التي تمنع الانحراف وتضبط الفهم. ولا يمكن للطالب الجامعي أن يتخصص في الدراسات القرآنية دون معرفة هذا العلم وأهم مراجعه.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-، تحقيق: عدنان زرزور، دار المنار، 1986.
2. بدر الدين الزركشي، -البرهان في علوم القرآن-، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
3. جلال الدين السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-، دار الكتب العلمية.
4. عبد الرحمن حبنكة الميداني، -قواعد التفسير-، دار القلم، دمشق.
5. مساعد الطيار، -فصول في أصول التفسير-، مكتبة التوبة.

المحاضرة الثانية: حكم التفسير وأقسامه وطرقه

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد بن عبد الله، الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، وترك الأمة على المحجّة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

إنّ القرآن الكريم هو أصل الهداية ومصدر التشريع في الإسلام، وقد اعتنى المسلمون به منذ نزوله تلاوةً وتدبراً وحفظاً وتفسيراً، فكان علم التفسير من أشرف العلوم وأعلاها قدراً، إذ به تُفهم مقاصد الوحي وتُستجلى معاني الكتاب العزيز. وليس التفسير مجرد اجتهاد بشري في فهم النص القرآني، بل هو علم له ضوابط وأصول، يربط بين النص والواقع، ويكشف عن دلالاته اللغوية والشرعية والبيانية.

ومن هنا، تبرز أهمية البحث في "حكم التفسير وأقسامه وطرقه"، إذ إنّ التفسير ليس خياراً معرفياً فحسب، بل واجباً شرعياً يندرج ضمن فروض الكفاية، بل قد يتعيّن فرض عين في بعض الحالات. كما أنّ تقسيمه إلى مأثور ورأي يوضح تنوّع المناهج في التعامل مع القرآن، ويفتح المجال للمقارنة بينهما، ولإدراك الحدود الفاصلة بين المشروع والممنوع. أمّا طرق التفسير فهي بمثابة السلّم الذي يصعد به المفسّر إلى معاني القرآن: بدءاً من تفسير القرآن بالقرآن، وصولاً إلى الاجتهاد بضوابطه.

وقد تنبّه العلماء قديماً وحديثاً إلى خطورة التفسير بلا علم، لما قد يترتب عليه من تحريف المعاني أو تحميل النصوص ما لا تحتمل. فقد قال النبي ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (رواه الترمذي). والمراد – كما قرره أهل العلم – أنه أخطأ من جهة المنهج، إذ تجرّأ على كلام الله بغير علم.

وعليه، فإنّ هذه المحاضرة تسعى إلى بيان حكم التفسير وأدلته، والتفريق بين حالاته، مع ذكر الأمثلة التطبيقية من كتب التفسير الكبرى كجامع البيان للطبري وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، إضافةً إلى عرض موقف العلماء من التفسير المذموم. وسنُظهر في هذا المبحث الأول أنّ التفسير ضرورة شرعية وعلمية، وأنه ركيزة في فهم الدين وحماية العقيدة من الانحراف.

المبحث الأول: حكم التفسير

1. حكم التفسير من حيث الأصل (فرض كفاية)

اتفق جمهور العلماء على أنّ التفسير في الجملة فرض كفاية على الأمة، بمعنى أنه إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أثمت الأمة جميعاً.

قال الإمام النووي: «تعلم التفسير فرض كفاية، لأنه لا بد للأمة من قائم به يبين معاني كلام الله تعالى» ([2]).

وقال الإمام الشاطبي: «فهم القرآن لا غنى للأمة عنه، فهو أصل الشريعة ومصدر الهداية، وتعلّمه داخل في فروض الكفايات» ([3]).

إنّ الأمة محتاجة إلى هذا العلم لتبقى على صلة بكتابها، وليُزال ما قد يعلق بالأذهان من إشكالات أو شُبهات. ومن هنا، انبرى المفسرون في كل عصر لإحياء معاني القرآن بما يلائم حاجات الأمة العلمية والعملية.

أمثلة تطبيقية من التفسير:

في تفسير قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} [سورة الفاتحة: 6]، يقول الطبري: «معناه أرشدنا يا ربنا إلى الطريق الواضح، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه» ([4]). ثم يذكر أقوال السلف في معنى الصراط: الإسلام، أو القرآن، أو طريق النبيين.

وبيّن ابن كثير في الموضع نفسه أن هذا الدعاء واجب على كل مسلم، لأنه لا يستغني أحد عن طلب الهداية ولو كان عالماً أو زاهداً، فكان تفسير هذه الآية فرض كفاية على الأمة لإرشادها، وفرض عين على المسلم في عمله اليومي.

هذا المثال يوضح كيف يرتبط التفسير بالحياة اليومية للمسلم، فلا غنى له عن فهم المعنى الصحيح، وإلا أخلّ بصلاته التي يكرر فيها هذا الدعاء في كل ركعة.

2. حكم التفسير من حيث التعيين (فرض عين)

قد يكون التفسير فرض عين إذا تعيّن على شخص بعينه أن يعرف معنى آية أو حكم شرعي. ومن أبرز الأمثلة:

---

[2] المجموع شرح المهذب، ج1، ص59

[3] الموافقات، ج1، ص23

[4] جامع البيان، ج1، ص142

- المفتي والقاضي: إذا عُرضت عليهما مسألة تتوقف على فهم آية من كتاب الله.
- المعلّم والواعظ: إذا سأله الناس عن معنى آية معينة.
- المسلم العادي: إذا واجه نصاً يتعلق بعبادة أو معاملة يحتاج إلى تطبيقها.

قال ابن تيمية: «التفسير منه ما هو واجب على الأعيان، ومنه ما هو واجب على الكفاية... فالواجب على كل مسلم أن يعلم ما يُحتاج إليه من القرآن في عبادته ومعاملته» ([5]).

أمثلة تطبيقية من التفسير:

في قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} [سورة البقرة: 43]، لم يكتف العلماء بالمعنى اللغوي لـ"إقامة الصلاة"، بل فسروا ذلك بتبيين شروطها وأركانها. يقول الطبري: «إقامة الصلاة: إتمام ركوعها وسجودها وقراءتها على ما فرض الله فيها» ([6]). وهذا التفسير فرض عين على القاضي أو المفتي الذي يحكم بصحة صلاة الناس.

وفي قوله تعالى: {ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن} [سورة الأنعام: 152]، بيّن ابن كثير أنّ المراد النهي عن أكل أموال اليتامى بغير حق، ووجوب حفظها لهم، وهذا واجب على الولي والوصي.

3. حكم التفسير من حيث الممارسة

هنا ينقسم التفسير إلى مشروع ومذموم:

أ. التفسير المشروع

وهو الذي يلتزم بالضوابط الشرعية واللغوية، ويعتمد على المصادر المعتبرة: القرآن، السنة، أقوال الصحابة، قواعد اللغة.

قال ابن تيمية: «أصح طرق التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن، فإن لم يجد فبالسنة، فإن لم يجد فبأقوال الصحابة، ثم باللغة» ([7]).

---

[5] مقدمة في أصول التفسير، ص12

[6] جامع البيان، ج1، ص217

[7] مقدمة في أصول التفسير، ص34

مثال: تفسير قوله تعالى: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} [سورة الأنعام: 82]. فقد أشكلت على بعض الصحابة، ففسرها النبي ﷺ بقوله: «إنه ليس كما تظنون، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان: {إن الشرك لظلم عظيم}» (رواه البخاري). فكان هذا التفسير مشروعاً لأنه اعتمد على السنة لتوضيح القرآن.

ب. التفسير المذموم

وهو التفسير القائم على الجهل أو الهوى، أو الذي يخالف أصول الشريعة.

استدل العلماء بحديث النبي ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (الترمذي، كتاب التفسير). قالوا: إن أصاب المعنى لكنه أخطأ الطريق، لأن التفسير لا يكون بالرأي المجرد.

أمثلة تاريخية على التفسير المذموم:

تفسير الخوارج لقوله تعالى: {إن الحكم إلا لله} [سورة الأنعام: 57]، فحملوه على الخروج على الإمام علي رضي الله عنه، مع أن السِّياق لا يدل على ذلك.

تفسير بعض الباطنية لآية {وأقيموا الصلاة} بأنها "معرفة الإمام"، وهو تحريف لمعنى النص الشرعي.

4. خلاصة المبحث الأول

التفسير فرض كفاية على الأمة، إذ لا غنى لها عن من يبين كتاب الله.

وقد يكون فرض عين على المفتي والقاضي وكل مسلم يحتاج إلى تطبيق النص.

التفسير ينقسم من حيث الممارسة إلى مشروع إذا التزم الضوابط، ومذموم إذا بني على الجهل أو الهوى.

الأمثلة التطبيقية من الطبري وابن كثير توضح كيف طبق العلماء هذه الأحكام عملياً، فجعلوا التفسير ضرورة شرعية وعلمية، لا مجرد اجتهاد لغوي.

المبحث الثاني: أقسام التفسير

ينقسم التفسير في الجملة إلى قسمين رئيسين هما: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي. وهذا التقسيم يعد من أشهر ما اتفق عليه علماء علوم القرآن وأصول التفسير، حيث يميز بين المنهج النقلي القائم على النصوص، والمنهج الاجتهادي القائم على

الرأي المعتبر بضوابطه. ولكل منهما خصائصه ومصادره وأمثلته، كما أن لكل قسم حدوده التي ينبغي عدم تجاوزها.

أولاً: التفسير بالمأثور (التفسير النقلي)

1. تعريفه

هو التفسير القائم على النقل المحض عن المصادر المعتمدة، وهي:

- القرآن بالقرآن: تفسير بعض الآيات بآيات أخرى.
- السنة النبوية: ما ورد عن النبي ﷺ من بيان لمعاني الآيات.
- أقوال الصحابة: لفهمهم القريب من عصر النزول.
- أقوال التابعين: ممن تلقوا التفسير عن الصحابة.

وقد سُمّي بالمأثور لاعتماده على "الأثر"، أي النصوص والروايات.

2. مصادر التفسير بالمأثور وأمثلة تطبيقية

أ. التفسير بالقرآن

قال ابن مسعود: «إن القرآن يفسر بعضه بعضاً» ([8]).

مثال: تفسير قوله تعالى: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} [سورة الأنعام: 82] بآية {إن الشرك لظلم عظيم} [سورة لقمان: 13].

ب. التفسير بالسنة

قول النبي ﷺ في بيان آية {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} [سورة الأنفال: 60]: «ألا إن القوة الرمي» (رواه مسلم).

قول النبي ﷺ: «الصلاة عماد الدين» لشرح آيات إقامة الصلاة.

ج. التفسير بأقوال الصحابة

تفسير ابن عباس لقوله تعالى: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} [سورة الفاتحة: 7] بأن "المغضوب عليهم" هم اليهود و"الضالون" هم النصارى ([9]).

---

[8] الزركشي، البرهان، ج2، ص162

[9] الطبري، جامع البيان، ج1، ص172

تفسير عبد الله بن مسعود لقوله تعالى: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً} [سورة النساء: 93] بأنها من آخر ما نزل ولم ينسخ ([10]).

د. التفسير بأقوال التابعين

مجاهد بن جبر قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها» (الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص82).

مثل تفسيره لآية {والصافات صفا} [سورة الصافات: 1] بأنهم الملائكة.

3. خصائص التفسير بالمأثور

قوة الحجة لارتباطه بالنصوص.

موافقته للسلف.

سلامته من التكلّف العقلي.

لكنه أحياناً يضيق عن بيان بعض الدقائق البلاغية أو الإشارات العلمية.

ثانياً: التفسير بالرأي (التفسير الاجتهادي)

1. تعريفه

هو التفسير القائم على الاجتهاد الصحيح الذي يستند إلى العلوم الشرعية واللغوية، مع الالتزام بالضوابط، دون الاقتصار على المأثور.

قال ابن تيمية: «التفسير بالرأي جائز إذا كان المفسر عالماً بلسان العرب، عارفاً بالشرع» (مقدمة في أصول التفسير، ص38).

2. أنواعه

أ. التفسير العقلي (الكلامي/الفلسفي)

يقوم على إعمال العقل في بيان العقائد والأحكام.

أبرز أمثلته: الرازي في مفاتيح الغيب، حيث يتوسع في المسائل الكلامية.

مثال: تفسيره لآية {الحمد لله رب العالمين} [سورة الفاتحة: 2]، إذ أطال في إثبات وجود الله وصفاته بالعقل.

---

[10] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص401

ب. التفسير الإشاري (الصوفي)

يعتمد على الإشارات والخواطر القلبية التي لا تعارض النصوص.

أمثلته: القشيري في اللطائف، وابن عجيبة في البحر المديد.

مثال: تفسيرهم لآية {مرج البحرين يلتقيان} [سورة الرحمن: 19] بأنها إشارة إلى القلب والنفس، والبرزخ هو الروح.

ج. التفسير الفقهي

يركز على استنباط الأحكام الشرعية.

أبرز أمثلته: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن.

مثال: عند تفسير آية {وأقيموا الصلاة} [سورة البقرة: 43] أفرد عشرات الصفحات في شروط الصلاة وأركانها وأحكامها الفقهية.

د. التفسير البلاغي/الأدبي

يركز على الناحية البيانية والإعجاز البلاغي.

مثال: الزمخشري في الكشاف، الذي أبرز بلاغة القرآن مع نزعة اعتزالية.

عند تفسير قوله تعالى: {ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون} [سورة البقرة: 267] أبدع في إظهار الفصاحة والنظم البياني.

3. ضوابط التفسير بالرأي

معرفة اللغة وأصول الفقه.

عدم مخالفة المأثور الصحيح.

التحرر من الهوى والتحيز المذهبي.

ثالثاً: الجدول المقارن بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

العنصر	التفسير بالمأثور	التفسير بالرأي
المصدر	القرآن، السنة، الصحابة، التابعون	اجتهاد بالعقل واللغة والفقه
المنهج	النقل والرواية	الاجتهاد والاستنباط
القوة	حجية عالية لارتباطه بالنصوص	قوة في توسيع الفهم وربط النص بالواقع
الضوابط	التثبت من صحة الأسانيد	شرط معرفة اللغة والشرع وأصول الدين
المجال	بيان المعاني الأصلية للنص	استنباط الأحكام، إبراز البلاغة، الإشارات الروحية

الأمثلة	الطبري، ابن كثير، السيوطي	الرازي، الزمخشري، القرطبي، القشيري
المزايا	سلامة المنهج، موافقة السلف	يفتح مجالاً للتفصيل والبيان
العيوب	قد يقف عند حدود النقل ولا يتوسع	عرضة للتأويل الباطل إذا غاب الضبط

خلاصة المبحث الثاني

التفسير بالمأثور هو الأساس والمرجع الأول في فهم القرآن، لأنه معتمد على النصوص الموثوقة.

التفسير بالرأي مشروع إذا استوفى شروطه، ومذموم إن خالفها.

تنوّعت مناهج التفسير بالرأي: العقلي، الإشاري، الفقهي، البلاغي، وكلها أثرت المكتبة الإسلامية، مع تفاوت في درجة القبول والرفض.

الجمع بين المأثور والرأي الصحيح هو المنهج المتكامل، وهو ما اعتمده كبار المفسرين كالطبري وابن كثير والقرطبي.

المبحث الثالث: طرق التفسير

تنوّعت طرق التفسير عند العلماء بحسب المنهج الذي اعتمدوه في بيان معاني القرآن الكريم. وقد اصطلحوا على تقسيمها إلى ستة مسالك رئيسة:

1. التفسير بالقرآن.
2. التفسير بالسنة النبوية.
3. التفسير بأقوال الصحابة.
4. التفسير بأقوال التابعين.
5. التفسير باللغة العربية.
6. التفسير بالاجتهاد والرأي المعتبر.

وهذا الترتيب ليس عشوائياً، بل هو بحسب درجة القوة والحجية؛ فأقواها التفسير بالقرآن، ثم ما بعده نزولاً حتى الاجتهاد.

أولاً: التفسير بالقرآن

1. تعريفه

هو تفسير الآية أو المقطع القرآني بآية أخرى وردت في موضع آخر، وهو أعلى مراتب التفسير، لأنه بيان من الله تعالى لكلامه بكلامه.

2. مشروعيته

قال ابن تيمية: «أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع فُسر في موضع آخر» ([11]).

3. أمثلة تطبيقية

قوله تعالى: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} [سورة الأنعام: 82].

- فسّرها النبي ﷺ بالآية الأخرى: {إن الشرك لظلم عظيم} [سورة لقمان: 13].

قوله تعالى: {وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا} [سورة النبأ: 10-11].

- فُسرت آية "الليل لباسا" بما ورد في قوله: {وهو الذي جعل لكم الليل لباسا} [سورة الفرقان: 47].

في تفسير الطبري: عند قوله {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} [سورة البقرة: 43]، يفسرها الطبري بآيات أخرى تبين شروط الصلاة والزكاة، مثل آية {خذ من أموالهم صدقة} [سورة التوبة: 103].

ثانياً: التفسير بالسنة النبوية

1. تعريفه

هو بيان النبي ﷺ للقرآن قولاً أو فعلاً أو تقريراً، لأنه المفسر الأول لكتاب الله.

2. أهميته

قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم} [سورة النحل: 44].

السنة مكملة للقرآن ومبينة له.

3. أمثلة تطبيقية

قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة} [سورة البقرة: 43].

- بيّن النبي ﷺ صفة الصلاة في قوله: «صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي» (رواه البخاري).

قوله تعالى: {وآتوا الزكاة}.

- بيّن النبي ﷺ أنصبتها وأنواعها في الأحاديث.

---

[11] مقدمة في أصول التفسير، ص. 34

في ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} [سورة الأنفال: 60]، نقل الحديث: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (رواه مسلم).

ثالثاً: التفسير بأقوال الصحابة

1. أهميته

الصحابة رضي الله عنهم أدرى الناس بكتاب الله؛ شهدوا التنزيل وفهموا السياق.

لذلك أقوالهم في التفسير مقدمة على غيرها.

2. أشهر المفسرين من الصحابة

عبد الله بن عباس: دعا له النبي ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (رواه أحمد).

عبد الله بن مسعود: قال: «ما من آية إلا أعلم أين نزلت ومتى نزلت».

أُبيّ بن كعب: كان من كتاب الوحي وعرف بضبطه للقرآن.

3. أمثلة تطبيقية

تفسير ابن عباس لقوله: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} [سورة الفاتحة: 7]، فقال: المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى ([12]).

تفسير ابن مسعود لقوله: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً} [سورة النساء: 93] بأنها من آخر ما نزل ولم ينسخ ([13]).

رابعاً: التفسير بأقوال التابعين

1. تعريفه

هو ما روي عن التابعين الذين أخذوا عن الصحابة مباشرة.

2. أهميته

دون أقوال التابعين في التفسير ضمن تفسير الطبري وغيره.

أشهر المفسرين منهم: مجاهد بن جبر، سعيد بن جبير، الحسن البصري، قتادة.

---

[12] الطبري، جامع البيان، ج1

[13] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2

3. أمثلة تطبيقية

مجاهد قال في {الرحمن على العرش استوى} [سورة طه: 5]: أي "علا وارتفع".

سعيد بن جبير فسر {مرج البحرين يلتقيان} [سورة الرحمن: 19] بالبحر العذب والمالح.

4. موقف العلماء

ابن تيمية قال: «إذا أجمع التابعون على شيء فهو حجة».

لكن تفسيرهم أقل حجية من الصحابة، وأقوالهم قد يختلف فيها.

خامساً: التفسير باللغة العربية

1. تعريفه

لأن القرآن نزل بلغة العرب، ففهم معانيه لا يكون إلا بإدراك خصائص اللغة: النحو، الصرف، البلاغة، الاشتقاق، أساليب العرب في الكلام.

2. أمثلة تطبيقية

تفسير كلمة {الصمد} [سورة الإخلاص: 2] بأنها السيد الذي يُقصد في الحوائج، كما عند ابن عباس، واعتمد المفسرون على اللغة في بيانها.

تفسير قوله {فاطر السماوات والأرض} [سورة الأنعام: 14]: أي خالقها ومبدعها على غير مثال سابق (ابن عطية، المحرر الوجيز).

3. دور المفسرين البلاغيين

الزمخشري في الكشاف ركز على البيان والبلاغة.

مثال: عند تفسير قوله {واشتعل الرأس شيباً} [سورة مريم: 4]، قال: هذا من بديع الاستعارة.

سادساً: التفسير بالاجتهاد والرأي المعتبر

1. تعريفه

هو الاجتهاد في تفسير الآيات بالاستناد إلى العلوم الشرعية واللغوية وأصول العقيدة، مع التزام الضوابط.

2. مشروعيته

قال ابن تيمية: «التفسير بالرأي جائز إذا استجمع شروط العلم» ([14]).

3. أمثلة تطبيقية

الرازي في مفاتيح الغيب عند تفسير آية {وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء} [سورة الأنعام: 99] توسع في الكلام عن دورة الماء في الطبيعة، مع إعمال العقل.

القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عند تفسير آية المواريث [سورة النساء: 11]، استنبط عشرات الأحكام الفقهية.

مقارنة بين طرق التفسير من حيث القوة

المرتبة	طريقة التفسير	درجتها
1	التفسير بالقرآن	أقوى الطرق وأصحها
2	التفسير بالسنة	بيان النبي ﷺ هو المعتمد
3	أقوال الصحابة	حجة قوية لقربهم من التنزيل
4	أقوال التابعين	معتبرة لكن أقل درجة
5	اللغة العربية	ضرورية لفهم النصوص
6	الاجتهاد والرأي	مقبول بشرط الضوابط

خلاصة المبحث الثالث

طرق التفسير تبدأ بما هو نصي يقيني (القرآن والسنة)، ثم تنتقل إلى ما هو ظني معتبر (الصحابة والتابعون)، ثم إلى الوسائل المكملة (اللغة، الاجتهاد).

الترتيب بينها يعكس قوة الحجية.

المفسرون الكبار كالطبري والقرطبي وابن كثير جمعوا بين هذه الطرق؛ فكان تفسيرهم نموذجاً للتكامل بين النقل والعقل.

[14] مقدمة في أصول التفسير، ص38

المبحث الرابع: نقد بعض المناهج المنحرفة في التفسير

تمهيد

منذ نزول القرآن الكريم، لم يتوقف الاهتمام بتفسيره وبيان معانيه. غير أن هذا الاهتمام لم يكن كله على الجادة؛ فقد ظهرت مناهج تفسيرية منحرفة، إما نتيجة أهواء داخلية كالتفسير الباطني، أو بسبب مؤثرات خارجية كالتأويلات الاستشراقية والقراءات الحداثية. ومن المهم أن يعرف طالب العلم هذه المناهج، وأن يقف على جذورها وأثرها وخطرها، مع الاطلاع على ردود العلماء عليها.

أولاً: آراء المستشرقين في التفسير

1. الخلفية العامة

ظهر الاستشراق بوصفه حركة أكاديمية أوروبية منذ القرنين 18 و19، هدفها دراسة الإسلام من خلال نصوصه الأصلية. ومن أبرز اهتمامات المستشرقين: القرآن وتفسيره.

2. أبرز المستشرقين وآراؤهم

إغناس جولدتسيهر (ت 1921م): في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي (Die Richtungen der islamischen Koranauslegung)، اعتبر أن التفسير بالمأثور مجرد نقل غير نقدي، وأن التفسير بالرأي انعكاس لمذاهب فقهية وكلامية لاحقة، وليس بياناً للمعنى الحقيقي للنص.

تيودور نولدكه (ت 1930م): في تاريخ القرآن (Geschichte des Qorans)، قلل من قيمة الروايات التفسيرية، ورأى أن كثيراً منها صيغ لاحقاً لتبرير آراء عقدية.

ريتشارد بيل (ت 1952م): ذهب إلى أن القرآن لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة بيئة النبي ﷺ الثقافية واللغوية، واعتبر التفسير التقليدي خاضعاً لقيود دينية لا تسمح بالفهم "الموضوعي".

بلاشير (ت 1973م): ركز على البعد الأدبي، وزعم أن التفسير التقليدي يفتقد النقد النصي.

3. أبرز الانتقادات

التشكيك في حجية التفسير بالمأثور.

اعتبار التفسير بالرأي مجرد إسقاط مذهبي.

تقديم مناهج "نقدية" غربية بديلة تهمش الجانب الإيماني.

4. الردود العلمية

محمد حسين الذهبي في التفسير والمفسرون بيّن أن التفسير بالمأثور ليس مجرد نقولات، بل يقوم على سلسلة سندية علمية متصلة، بخلاف ما زعمه جولدتسيهر.

فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي أثبت بالدليل أن التفاسير المبكرة (كالطبري) احتوت مادة علمية أصلية غير مفتعلة.

مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن رد على محاولات المستشرقين "تفكيك النص" وأثبت أنه لا ينفصل عن بيانه العربي.

ثانياً: التفسير الباطني

1. تعريفه

التفسير الباطني هو صرف النص القرآني عن ظاهره إلى معانٍ سرية أو رمزية، بزعم أن للقرآن ظاهراً للعامة وباطناً للخاصة.

2. نشأته

ارتبط بفرق غالية مثل الإسماعيلية والقرامطة.

تبنوا أن ظاهر القرآن غير مراد، وإنما العبرة بالمعاني الباطنية المخفية.

3. خصائصه

تعطيل النص عن معناه الظاهر.

بناء التأويل على فلسفات غريبة أو رؤى سياسية.

استغلال النصوص لتثبيت دعاوى الإمامة والسلطة الدينية.

4. أمثلة تطبيقية

فسروا قوله تعالى: {والتين والزيتون} [سورة التين: 1] بأنه إشارة إلى "الإمام الفاطمي"، وليس إلى الفاكهة.

وقوله تعالى: {ادخلوا الباب سجداً} [سورة البقرة: 58] أي الدخول في طاعة الإمام، لا الباب الحقيقي.

5. الردود العلمية

ابن تيمية في مجموع الفتاوى (236/13) عدّ الباطنية من "أهل الزندقة" الذين يلغون النصوص.

الغزالي في فضائح الباطنية كشف تناقضاتهم العقلية.

القرطبي أكد في تفسيره أن الظاهر أصل، والباطن إن عُرف فلا بد أن يكون تابعاً له لا معطلاً له.

ثالثاً: التفسير الحداثي

1. تعريفه

التفسير الحداثي هو محاولة قراءة النص القرآني وفق المناهج اللسانية والهرمنيوطيقية الغربية الحديثة، بعيداً عن ضوابط علم التفسير التقليدي.

2. أبرز أعلامه

أمين الخولي: دعا إلى ما أسماه "التفسير الأدبي للقرآن".

نصر حامد أبو زيد: قرأ النص بوصفه "منتجاً ثقافياً"، لا وحياً منزلاً.

محمد أركون: حاول إخضاع القرآن لمناهج الأنثروبولوجيا والتفكيك النصي.

3. خصائصه

التركيز على البعد اللغوي والأدبي دون العقدي والفقهي.

نزع قدسية النص وتحويله إلى "خطاب تاريخي".

تهميش التفسير بالمأثور والسنة النبوية.

4. أمثلة

تفسير آيات المواريث بأنها "قابلة للتطور" تبعاً لظروف المجتمع.

اعتبار قصص الأنبياء مجرد "سرديات رمزية" تعبر عن الوعي الجمعي.

5. الردود العلمية

طه جابر العلواني في أصول التفسير ومناهجه نقد الحداثيين، مبيناً أن النص القرآني فوق التاريخ.

محمد عمارة في التفسير الماركسي للإسلام رد على قراءات أبو زيد وأركون.

مساعد الطيار في فصول في أصول التفسير أكد أن التفسير الحداثي يسقط الضوابط الشرعية ويحول النص إلى "مجرد وثيقة".

رابعاً: المقارنة بين المناهج

المنهج	المرتكز	أبرز أعلامه	أبرز إشكالاته	الرد العلمي
الاستشراق	المناهج الغربية النقدية	جولدتسيهر، نولدكه	التشكيك في المأثور والرأي	الذهبي، سزكين، الرافعي
الباطني	التأويل الرمزي الباطن	الإسماعيلية، القرامطة	تعطيل الظاهر، إسقاط النص	ابن تيمية، الغزالي، القرطبي
الحداثي	المناهج اللسانية والفلسفية	أمين الخولي، أبو زيد، أركون	نزع القدسية، تاريخية النص	العلواني، عمارة، الطيار

خلاصة المبحث الرابع

الاستشراق قدّم قراءة خارجية للقرآن، لكنها تفتقد المنهج الإسلامي، وتقوم على فرضيات مسبقة.

التفسير الباطني ألّغى النصوص لحساب معانٍ سرية، فأخرج القرآن من دلالته الظاهرة.

التفسير الحداثي نزَع القدسية عن النص القرآني وجعله منتجاً ثقافياً قابلاً للتأويل الحر.

الرد العلمي على هذه المناهج يكمن في التمسك بالأصول: التفسير بالمأثور، اللغة العربية، وضوابط الاجتهاد.

الخاتمة

بعد استعراضنا لموضوع حكم التفسير وأقسامه وطرقه، وما تبعه من نقد لبعض المناهج المنحرفة، يتبين لنا أن علم التفسير ليس مجرد نشاط معرفي ثانوي، وإنما هو الركيزة الكبرى لفهم الوحي الإلهي وتنزيله على واقع الأمة.

وقد تكشف لنا عبر المحاور الأربعة أن هذا العلم يقوم على أسس راسخة:

من حيث الحكم: التفسير في أصله فرض كفاية على الأمة، لكنه قد يكون فرض عين بحسب الحاجة والوظيفة الشرعية. ولا يجوز بحال أن يُترك تفسير القرآن للأهواء أو للجهلة.

من حيث الأقسام: انقسم التفسير إلى مأثور ورأي، ولكل قسم ضوابطه وحدوده، مع تنوع مدارس التفسير بالرأي (العقلي، الفقهي، البلاغي، الإشاري).

من حيث الطرق: وضعت الأمة سلماً هرمياً من أقوى طرق التفسير (القرآن يفسر بعضه بعضًا) إلى الاجتهاد المعتبر، وهو ترتيب يضمن المنهجية ويمنع الانحراف.

من حيث النقد: ظهرت مناهج دخيلة، مثل التفسير الباطني الذي عطّل النصوص، والقراءات الحداثية التي نزعت القدسية عن الوحي، وآراء المستشرقين التي حكمت بمعايير خارجية، لكن العلماء تصدوا لها بالبيان والبرهان.

قائمة المراجع :

أولاً: المصادر التراثية

1. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف.
2. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة.
3. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية.
4. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار المعرفة.
5. الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر.
6. ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية.
7. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية.
8. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة.
9. ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، دار المنار.

10. الغزالي، فضائح الباطنية، دار المنار.

ثانياً: المصادر المعاصرة

11. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة.
12. عبد الرحمن حبنكة الميداني، قواعد التفسير، دار القلم.
13. مساعد الطيار، فصول في أصول التفسير، مكتبة التوبة.
14. فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة.
15. طه جابر العلواني، أصول التفسير ومناهجه، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
16. محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، دار الشروق.
17. فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية.
18. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار المعرفة.
19. أحمد حسن فرحات، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، دار السلام.
20. دراسات نقدية مترجمة: إغناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي.
21. تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر، دار الجمل.

المحاضرة الثالثة: تفسير القرآن بالقرآن

– مقدمة

يُعدّ "تفسير القرآن بالقرآن" من أهمّ وأصحّ طرق التفسير، لأنه يعتمد على المصدر ذاته الذي هو "الوحي الإلهي". وهذه الطريقة تمثل المنهج الأمثل الذي سار عليه النبي ﷺ وصحابته، ثم سلكه كبار المفسرين بعدهم، مثل الإمام ابن جرير الطبري والشنقيطي في -أضواء البيان-.

فلا مصدر أعظم في بيان معاني القرآن من القرآن نفسه، إذ يُفصّل بعضه بعضًا، ويُقيّد مطلقه، ويُبيّن مجمله، ويُوضّح مشكله.

أولاً: تعريف تفسير القرآن بالقرآن

- هو: "إيضاح الآية القرآنية بآية أخرى من القرآن نفسه"، بحيث يُفسّر مجملها أو يُقيّد مطلقها أو يُبيّن معناها.

- وهو أعلى مراتب التفسير، وأوثقها من حيث الثبوت؛ لأنه من جنس الوحي المعصوم من الخطأ والزلل.

قال ابن كثير: -"فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصح الطرق أن يفسّر القرآن بالقرآن"- (-تفسير القرآن العظيم-، المقدمة).

ثانياً: أهمية تفسير القرآن بالقرآن

1. "ضمان سلامة المعنى": إذ لا يمكن أن يفسّر القرآن نفسه إلا بما أراده الله تعالى.
2. "إزالة الإشكال": الآية التي قد تبدو غامضة أو عامة يوضحها نصّ آخر.
3. "الربط الموضوعي بين السور والآيات": مما يعكس وحدة موضوع القرآن وتكامله.
4. "اتباع منهج السلف": فقد كانوا يرجعون إلى القرآن أولًا لفهم معانيه.

ثالثاً: صور تفسير القرآن بالقرآن

1– تفسير المجمل بالمبيّن

- مثال: قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [سورة البقرة: 43]

لم يُبيّن عدد الركعات ومقادير الزكاة، لكن بُيّن في مواضع أخرى مثل: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [سورة البقرة: 43].

2- تقييد المطلق

أن يرد اللفظ مطلقاً دون قيد، ثم يأتي مقيداً في موضع آخر.

مثال: الوضوء في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: 6] مطلق، لكن جاء تقييده بالنية في آيات أخرى ومن السنة. ([15]).

3- تخصيص العام

- مثال: قوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [سورة الزمر: 62].
- ظاهره العموم، لكن قيّده قوله: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [سورة الأحقاف: 25] أي مما يصلح لهلاك عاد فقط.

4- بيان المشكل

- مثال: قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [سورة الأنعام: 82].
- فُسّر بآية أخرى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة لقمان: 13].

5- شرح المفردة بالمفردة

- مثال: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [سورة الفاتحة: 7].
- بيّنها القرآن: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} [سورة البقرة: 90] أي اليهود.

رابعاً: منهج المفسرين في هذا الباب

- الإمام الطبري في -جامع البيان- كان يجمع الآيات ويستدلّ بها بعضها على بعض.
- الشنقيطي في -أضواء البيان- جعل الأصل في تفسيره هو تفسير القرآن بالقرآن.
- ابن كثير اعتمد هذه الطريقة وأكّد أنها أصح طرق التفسير.

[15] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج6، ص85

خامساً: ضوابط تفسير القرآن بالقرآن

1. مراعاة "السياق": فقد يُفهم اللفظ من غير سياقه فهمًا خاطئًا.
2. الجمع بين الآيات "المتعلقة بالموضوع الواحد" قبل إصدار الحكم.
3. عدم الاقتصار على بعض الآيات وإغفال الآيات الأخرى التي تُكمّل المعنى.
4. التمييز بين المحكم والمتشابه.

خاتمة

تفسير القرآن بالقرآن هو الطريق الأوثق والأصح لفهم كتاب الله، وهو منهج النبي ﷺ والصحابة وأئمة التفسير. يعتمد على بيان بعض الآيات لبعضها الآخر، مما يضمن سلامة الفهم ويؤكد تكامل موضوعات القرآن. وعلى الطالب الجامعي أن يدرك أن هذه الطريقة هي الأساس قبل الرجوع إلى السنة أو أقوال السلف أو الاجتهاد الشخصي.

مراجع المحاضرة

1. ابن كثير، -تفسير القرآن العظيم-، دار طيبة.
2. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-، تحقيق عدنان زرزور.
3. الشنقيطي، -أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن-، دار الفكر.
4. الزركشي، -البرهان في علوم القرآن-.
5. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.

المحاضرة الرابعة: تفسير القرآن بالسنة

– مقدمة

القرآن الكريم نزل هدايةً للناس، لكن بعض معانيه وأحكامه تحتاج إلى بيان وتوضيح. ومن هنا جاءت السنة النبوية لتكون "مكمّلة للقرآن وشارحة له"، فهي الوحي الثاني المفسِّر للوحي الأول.

وقد أجمع العلماء على أنّ "تفسير القرآن بالسنة هو المنهج الثاني بعد تفسير القرآن بالقرآن"، بل إن النبي ﷺ نفسه هو المفسِّر الأول للقرآن بسنّته وأقواله وأفعاله.

قال الله تعالى:

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [سورة النحل: 44].

وهذه الآية أصل في اعتماد السنة في تفسير القرآن.

أولًا: تعريف تفسير القرآن بالسنة

– هو: "بيان معاني القرآن الكريم من خلال ما ثبت عن النبي ﷺ من أقوال أو أفعال أو إقرارات".

– ويُعتبر هذا المنهج "حجّة قطعية" لأن السنة وحيٌ من عند الله:

{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى – إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [سورة النجم: 3-4].

ثانياً: أهمية السنة في تفسير القرآن

1. "النبي ﷺ هو المبيّن الأول" للقرآن، فلا يمكن الاستغناء عن بيانه.
2. بعض الأحكام القرآنية "مجملة" لا يمكن فهمها إلا بالسنة (مثل الصلاة والزكاة).
3. السنة تُبيّن "الناسخ والمنسوخ" في القرآن.
4. اعتمادها هو "اتباع لمنهج السلف"، إذ كانوا لا يفسرون القرآن إلا بما ورد عن رسول الله ﷺ.

ثالثًا: صور تفسير القرآن بالسنة

1– بيان المجمل

– القرآن يأمر بإقامة الصلاة دون بيان هيئتها وعدد ركعاتها، فجاءت السنة مفصلة لذلك:

قال النبي ﷺ: -«صلوا كما رأيتموني أصلي»- (رواه البخاري).

2- تخصيص العام

- قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ} [سورة النساء: 11].

- خصّت السنة هذا العموم: -«لا يرث القاتل شيئًا»- (رواه الترمذي).

3- تقييد المطلق

- قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [سورة المائدة: 38].

- بيّنت السنة أن القطع يكون من الكوع، وأن النصاب ربع دينار (رواه البخاري ومسلم).

4- شرح الغامض

- قوله تعالى: {وَآتُوا الزَّكَاةَ} [سورة البقرة: 43].

- لم يُبيّن في القرآن مقادير الزكاة، فجاءت السنة مفسّرة بأنصبتها وأنواعها.

5- التأكيد والشرح العملي

- كثير من الأوامر القرآنية جاء النبي ﷺ وطبّقها عمليًا، كالوضوء والصيام والحج.

رابعاً: نماذج عملية من تفسير النبي ﷺ للقرآن

1. عند نزول قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [سورة الأنعام: 82]، فهم الصحابة أن المراد مطلق الظلم. فبيّن لهم النبي ﷺ أن المراد هو الشرك، واستدل بقوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة لقمان: 13]. (رواه البخاري).

2. قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [سورة الأنفال: 60]، فسّرها النبي ﷺ بقوله: -«ألا إن القوة الرمي»- (رواه مسلم).

خامساً: ضوابط تفسير القرآن بالسنة

1. لا بد أن تكون "الأحاديث ثابتة صحيحة"، فلا يعتمد على الضعيف أو الموضوع.

2. يُقدَّم التفسير النبوي على غيره من أقوال الصحابة أو التابعين.

3. إذا وردت عدة روايات عن النبي ﷺ في معنى واحد، وجب الجمع بينها أو الترجيح وفق قواعد الأصول.

4. لا يصح ردّ التفسير النبوي بحجة الاكتفاء بالقرآن وحده (كما تفعل بعض الفرق).

خاتمة

إن "تفسير القرآن بالسنة" يُمثل المرتبة الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن، ويُظهر التلازم بين الوحيين. فالسنة جاءت شارحة ومبينة لأحكام القرآن، وقد طبّقها النبي ﷺ قولًا وفعلاً. فلا يمكن أن يُفهم القرآن فهمًا صحيحًا دون الاستعانة بالسنة النبوية الصحيحة.

مراجع المحاضرة

1. ابن كثير، -تفسير القرآن العظيم-، دار طيبة.
2. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
3. الشنقيطي، -أضواء البيان-.
4. جلال الدين السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
5. محمد حسين الذهبي، -التفسير والمفسرون-.

المحاضرة الخامسة: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

– مقدمة

الصحابة رضي الله عنهم هم الجيل الذي عاصر نزول القرآن الكريم، وعايش أسباب نزوله، وشهد تطبيقه في حياة النبي ﷺ. ومن هنا جاءت "أقوال الصحابة في التفسير" في منزلة عالية من الحجية والاعتبار، فهي من أوثق المصادر التي اعتمدها المفسرون.

قال الإمام ابن مسعود رضي الله عنه: -"والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"- (رواه البخاري).

أولًا: تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة

- هو: "تفسير القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوال أو آثار في بيان معاني الآيات أو أسباب نزولها أو تطبيقاتها".

مبررات الاعتماد على تفسير الصحابة

1. "معرفتهم بلغة العرب": فهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن.
2. "معايشتهم للوحي": شهدوا التنزيل وعرفوا أسباب النزول.
3. "تلقّيهم العلم عن النبي ﷺ مباشرة".
4. "صفاء فهمهم وسلامة قصدهم"، بخلاف من جاء بعدهم.

ثانياً: منزلة أقوال الصحابة في التفسير

1. "إذا كان التفسير مرفوعًا للنبي ﷺ" (أي منقولًا عنه بواسطة الصحابي) فله حكم السنة.
2. "إذا كان اجتهادًا محضًا من الصحابي":
   - قد يكون حجة إذا أجمع الصحابة عليه.
   - إذا اختلفوا، فإنه يؤخذ بالراجح وفق القواعد العلمية.
3. أقوال الصحابة "مقدَّمة على أقوال التابعين"، لأنها أقرب إلى الوحي ومصادره.

قال ابن تيمية: -"إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعتَ إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أعلم بذلك لما شاهدوه من القرآن، وأدركوا من أسباب النزول"- (-مقدمة في أصول التفسير-، ص. 35).

ثالثاً: أبرز الصحابة المفسرين

1- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

- لُقّب بـ "ترجمان القرآن" ودعا له النبي ﷺ: -«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»- (رواه أحمد).

- أشهر رواياته في التفسير جاءت عن طريق تلاميذه مثل: مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير.

2- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

- من أكثر الصحابة معرفة بالقرآن، وكان يقول: -"ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت"- (رواه البخاري).

3- علي بن أبي طالب رضي الله عنه

- عُرف بعلمه الواسع وفقهه، وله أقوال في التفسير خاصة في أبواب العقيدة والأحكام.

4- أُبيّ بن كعب رضي الله عنه

- من كتبة الوحي وأحد كبار القراء، عُرف بعلمه في أسباب النزول.

رابعاً: أمثلة من تفسير الصحابة

1. تفسير ابن عباس لقوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [سورة الفاتحة: 7]، قال: -المغضوب عليهم: اليهود، والضالون: النصارى- (رواه الترمذي).

2. تفسير ابن مسعود لقوله تعالى: {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [سورة الفاتحة: 6]، قال: -هو الإسلام-.

3. تفسير أُبيّ بن كعب لقوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ...} [سورة الأعراف: 172]، قال: -أخذ عليهم العهد في ظهر آدم-.

خامساً: ضوابط تفسير الصحابة

1. "التثبت من صحة الأسانيد"، فكثير من الأقوال نُسبت للصحابة وهي ضعيفة.

2. "التفريق بين المرفوع والموقوف": ما كان عن النبي ﷺ فله حكم السنة، وما كان اجتهادًا للصحابي فيُعامل على هذا الأساس.

3. "الجمع بين الأقوال المختلفة" متى أمكن، فإن لم يمكن وجب الترجيح.

4. "عدم الاعتماد على الإسرائيليات" التي قد تُنسب لبعض الصحابة ممن نقل عن أهل الكتاب، خصوصًا كعب الأحبار.

خاتمة

تفسير القرآن بأقوال الصحابة يمثل المرتبة الثالثة بعد تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة النبوية. وهو مصدر رئيس في بناء علم التفسير، لما تميّز به الصحابة من العلم باللغة، والمعايشة للوحي، والتلقي المباشر عن النبي ﷺ. وقد اعتنى المفسرون بأقوالهم وجعلوها من أوثق المراجع، مع ضرورة التحقق من صحة الروايات والتمييز بين المرفوع والموقوف.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-، تحقيق عدنان زرزور.
2. ابن جرير الطبري، -جامع البيان عن تأويل آي القرآن-.
3. ابن كثير، -تفسير القرآن العظيم-.
4. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
5. محمد حسين الذهبي، -التفسير والمفسرون-.

المحاضرة السادسة: تفسير القرآن بأقوال التابعين

– مقدمة

بعد جيل الصحابة جاء "جيل التابعين"، الذين أخذوا العلم مباشرة عن الصحابة، ونقلوا عنهم التفسير والفقه. وقد شكّل تفسيرهم حلقةً أساسية في سلسلة "المأثور التفسيري"، واعتمد عليهم كبار المفسرين مثل الطبري وابن كثير.

قال الإمام الشافعي: -"من أراد التفسير فعليه بأقوال السلف"-، وهو يقصد بذلك الصحابة والتابعين وأتباعهم.

أولًا: تعريف تفسير القرآن بأقوال التابعين

- هو: "ما ورد عن التابعين من أقوال أو آثار في بيان معاني الآيات القرآنية، اعتمادًا على ما تعلموه من الصحابة أو من اجتهاداتهم المبنية على اللغة والشريعة".

مكانة التابعين في التفسير

- هم "الجيل الثاني" من هذه الأمة، وقد تلقوا العلم مباشرة عن الصحابة.
- بعضهم عُرف بالتخصّص في التفسير، حتى صار مرجعًا فيه.
- أقوالهم لها وزن علمي معتبر، لكنها دون أقوال الصحابة من حيث الحجية.

ثانياً: حجية تفسير التابعين

1. "إذا اتفق التابعون على قولٍ واحد":

- فهو حجة قوية، يُلحق بالإجماع السكوتي أو التفسيري.

2. "إذا اختلفوا":

- يُصار إلى الترجيح وفق القواعد العلمية (كالموافقة للغة، أو للسياق القرآني، أو لما ورد في السنة).

3. "إذا انفرد التابعي بقول":

- لا يُجعل حجة لازمة، بل يُعتبر اجتهادًا محترمًا يستأنس به.

قال ابن تيمية: -"وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين مثل مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن البصري وغيرهم"- (-مقدمة في أصول التفسير-، ص. 36).

ثالثاً: أشهر مدارس التفسير عند التابعين

1- مدرسة مكة

- أبرز روادها: "مجاهد بن جبر، عطاء بن أبي رباح، عكرمة مولى ابن عباس".
- أخذوا العلم عن "ابن عباس" خاصة، لذلك سميت بـ -مدرسة ابن عباس في التفسير-.
- قال سفيان الثوري: -"إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به"- (رواه الذهبي في -التفسير والمفسرون-).

2- مدرسة المدينة

- أبرز روادها: "زيد بن أسلم، أبو العالية الرياحي، محمد بن كعب القرظي".
- أخذوا العلم عن "أُبيّ بن كعب" وغيره من الصحابة بالمدينة.
- امتازت هذه المدرسة بالعناية بأسباب النزول، وبالجانب الفقهي والتشريعي.

3- مدرسة العراق

- أبرز روادها: "الحسن البصري، قتادة بن دعامة السدوسي، الشعبي".
- تلقّوا العلم عن "ابن مسعود" وغيره من الصحابة الذين استقروا بالكوفة والبصرة.
- امتاز تفسيرهم بكثرة العناية بالوعظ والزهد، وبالتوسع في اللغة والمعاني.

رابعاً: أمثلة من تفسير التابعين

1. قال "مجاهد" في قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} [سورة الذاريات: 7]: -ذات الخَلْق الحسن المستوي- (تفسير الطبري).
2. قال "الحسن البصري" في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا} [سورة النحل: 128]: -معهم بالنصر والتأييد-.
3. قال "قتادة" في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} [سورة النحل: 90]: -العدل شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان أداء الفرائض-.

خامساً: ضوابط تفسير التابعين

1. "التثبّت من صحة الروايات": فكثير من الأقوال تنقل بلا إسناد.

2. "تمييز المرفوع عن الموقوف والمقطوع": المرفوع للنبي ﷺ أولى، ثم الموقوف على الصحابي، ثم المقطوع عن التابعي.

3. "الحذر من الإسرائيليات": فقد تسرب كثير منها إلى تفسير التابعين عن طريق بعض من أسلم من أهل الكتاب.

4. "الجمع والترجيح": عند اختلاف أقوال التابعين، ينبغي الجمع متى أمكن، وإلا فالترجيح بالأدلة.

خاتمة

تفسير التابعين يمثل المرحلة الرابعة في سلم التفسير بالمأثور، بعد القرآن والسنة وأقوال الصحابة. وقد شكّل ثروة تفسيرية ضخمة، اعتمد عليها المفسرون كالطبري وابن كثير، لكنها تبقى في المرتبة التالية لأقوال الصحابة من حيث الحجية. فالتابعون هم حملة علم الصحابة، لكن أقوالهم اجتهادية تحتمل الخطأ والصواب، ولذلك يجب التعامل معها بمنهج نقدي علمي مع الاستفادة منها كمرجع أساس في التفسير.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-، تحقيق عدنان زرزور.
2. الطبري، -جامع البيان عن تأويل آي القرآن-.
3. ابن كثير، -تفسير القرآن العظيم-.
4. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
5. الذهبي، -التفسير والمفسرون-.

المحاضرة السابعة: تفسير القرآن باللغة

– مقدمة

القرآن الكريم نزل "بلسان عربي مبين" [سورة الشعراء: 195]، فهو يخاطب العرب بلغة يفهمونها ويعبرون بها عن معانيهم. ومن هنا كان "علم اللغة العربية" بمستوياته (النحو، الصرف، المعجم، الأساليب البلاغية) من أهم الأدوات لفهم معاني القرآن وتفسيره.

ولذلك قال الإمام الشافعي: -"لا يحيط بالقرآن علماً إلا من عرف لسان العرب"- (-الرسالة-).

أولاً: تعريف تفسير القرآن باللغة

- هو: "بيان معاني ألفاظ القرآن ومقاصده من خلال الاحتكام إلى دلالة اللغة العربية من حيث المفردات والأساليب والتراكيب".

- يُعتمد فيه على علوم:

- "علم الغريب": تفسير الكلمات الغامضة.

- "علم المعاني والألفاظ": توضيح دلالة المفردة وسياقها.

- "علم النحو": ضبط الإعراب المؤثر في المعنى.

- "علم البلاغة": إدراك وجوه الإعجاز القرآني.

ثانياً: أهمية اللغة في التفسير

1. القرآن نزل بلغة العرب، فلا سبيل إلى فهمه إلا بفهم تلك اللغة.

2. كثير من الألفاظ القرآنية لها معانٍ متعددة، ولا يُعرف مرادها إلا بالرجوع إلى "العرف اللغوي والسياق".

3. اختلاف المفسرين غالبًا يعود إلى اختلاف في التوجيه اللغوي أو النحوي للآية.

4. اللغة تحفظ التفسير من "الانحرافات والبدع" التي تبنى على تأويلات غير صحيحة.

قال ابن تيمية: -"فإن معرفة اللغة التي بها نزل القرآن واجبة، فإن بها يُعرف مراد الله من كلامه"- (-مقدمة في أصول التفسير-).

ثالثاً: أمثلة لتفسير القرآن باللغة

1. "الغريب اللغوي":

- قوله تعالى: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [سورة الفيل: 5].

- -العصف-: ورق الزرع إذا يبس وتفتت، والمعنى تشبيه حالهم ببقايا الزرع.

2. "المفردة المتعددة المعنى":

- قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [سورة النجم: 1].

- -النجم-: قيل النبات، وقيل الكوكب، واللغة تحتمل الوجهين، لكن السياق يدل على الثاني.

3. "الإعراب المؤثر في المعنى":

- قوله تعالى: {وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ} [سورة البقرة: 124].

- على قراءة نصب -إبراهيمَ-: الفاعل هو الله، والمبتلَى هو إبراهيم.

- على قراءة رفع -إبراهيمُ-: الفاعل إبراهيم، والمبتلِي هو ربه.

4. "البلاغة القرآنية":

- قوله تعالى: {فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا - وَعِنَبًا وَقَضْبًا} [سورة عبس: 27-28].

- الترتيب اللغوي يراعي "التدرج من العام إلى الخاص" ومن الأكثر نفعًا إلى الأقل.

رابعاً: جهود العلماء في تفسير القرآن باللغة

1. "علماء الغريب": مثل كتاب -غريب القرآن- لابن قتيبة، و-المفردات- للراغب الأصفهاني.

2. "علماء النحو": مثل الزجاج (-معاني القرآن-) والفراء (-معاني القرآن-).

3. "علماء البلاغة": مثل الزمخشري (-الكشاف-) الذي أبرز الجانب البلاغي في التفسير.

4. "المعاجم اللغوية": مثل -لسان العرب- لابن منظور، الذي حفظ ألفاظ العرب.

خامساً: ضوابط تفسير القرآن باللغة

1. "الاعتماد على اللغة الفصحى" التي كان العرب يتخاطبون بها زمن نزول القرآن، دون لهجات مولدة أو متأخرة.

2. "مراعاة السياق القرآني"، فلا يُقتصر على المعنى اللغوي المفرد، بل يُنظر إلى موقعه في الآية.

3. "التفريق بين الحقيقة والمجاز": لأن اللغة قد تحمل المعنى المباشر أو المجازي.

4. "عدم الاقتصار على اللغة وحدها": بل تُكمّل بالسنة وأقوال الصحابة، حتى لا يقع المفسر في تحكيم اللغة مجردة.

قال الشاطبي: -"إنما يُعتبر من كلام العرب ما كان معروفًا عندهم في زمن التنزيل، لا ما حدث بعده"- (-الموافقات-).

خاتمة

تفسير القرآن باللغة يمثل "القاعدة الأساس لفهم القرآن"، إذ لا يمكن إدراك مراد الله إلا بفهم دلالات الألفاظ التي عبّر بها الوحي. ومع ذلك، فإن اللغة وحدها ليست كافية، بل يجب ضمّها إلى السنة وأقوال الصحابة والتابعين، لتكتمل صورة التفسير الصحيح. وقد شكّل هذا المسلك أساسًا لعلوم التفسير اللغوي، الذي ازدهر عند علماء النحو والبلاغة.

مراجع المحاضرة

1. الشافعي، -الرسالة-.
2. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
3. الراغب الأصفهاني، -مفردات ألفاظ القرآن-.
4. الزجاج، -معاني القرآن-.
5. الزمخشري، -الكشاف-.
6. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.

المحاضرة الثامنة: تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد

– مقدمة

التفسير بالرأي والاجتهاد هو أحد المسالك الكبرى في فهم كتاب الله تعالى، وقد نشأ بعد عصر الصحابة والتابعين نتيجةً لاتساع الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم، وتنوع المسائل التي احتاجت إلى بيان شرعي.

وقد أثار هذا النوع من التفسير جدلاً بين العلماء: فمنهم من أطلق النهي عنه، ومنهم من قيده بشروط وضوابط شرعية، ومنهم من توسع فيه.

قال النبي ﷺ: -«من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»- (رواه الترمذي)، وهو حديث اختلف المحدثون في صحته، لكنه استُدل به في باب النهي عن التفسير بالرأي غير المنضبط.

أولًا: تعريف التفسير بالرأي والاجتهاد

- "التفسير بالرأي": هو الاعتماد على الفكر والاجتهاد في استنباط معاني القرآن دون الاقتصار على النقل من القرآن والسنة وأقوال السلف.

- "التفسير الاجتهادي": هو بذل الجهد من العالم المتأهل لاستنباط معاني القرآن، وفق أصول اللغة والشريعة، مع مراعاة الضوابط الشرعية.

إذن، التفسير بالرأي منه "محمود" إذا انضبط بالقواعد، و"مذموم" إذا كان مجرد هوى أو جهل أو تحريف للنصوص.

ثانياً: أنواع التفسير بالرأي

1– التفسير بالرأي المحمود

وهو التفسير الذي يعتمد على:

- فهم اللغة العربية وأسرارها.
- معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.
- الاستعانة بأصول الشريعة وقواعدها الكلية.
- اجتهاد العالم المؤهل في الترجيح بين الأقوال.

مثال: اجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى:

{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [سورة عبس: 31]، فقال: -«الفاكهة عرفناها، فما الأبّ؟»- ثم قال: -«ما كُلّفنا هذا»-، إشارة إلى التوسع في البحث عن تفاصيل لا يترتب عليها عمل.

2- التفسير بالرأي المذموم

وهو التفسير المبني على:

- الجهل باللغة وأصول الشريعة.
- اتباع الهوى أو المذهب المسبق ثم إسقاطه على النصوص.
- الاستناد إلى إسرائيليات أو خرافات أو تأويلات باطلة.

مثال: تأويلات الباطنية التي حملت الآيات على معانٍ سرية باطلة لا علاقة لها بظاهر النص.

ثالثاً: الأدلة على مشروعية التفسير بالرأي المنضبط

1. قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [سورة ص: 29]

→ التدبر يتطلب إعمال الفكر والنظر، لا الاقتصار على النقل.

2. اجتهاد الصحابة أنفسهم في بيان بعض معاني القرآن دون أن ينقلوا ذلك عن النبي ﷺ.

3. اتفاق المفسرين عبر العصور على الاجتهاد في الترجيح بين الأقوال اللغوية والفقهية.

رابعاً: شروط التفسير بالرأي المقبول

1. "إتقان اللغة العربية": لفهم دلالات الألفاظ.
2. "الإحاطة بعلوم القرآن": كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والقراءات.
3. "الاعتماد على السنة النبوية": لأنها مفسرة للقرآن.
4. "الاستعانة بأقوال الصحابة والتابعين": لأنهم أقرب إلى عصر التنزيل.
5. "سلامة العقيدة": حتى لا يُحمل النص على معانٍ باطلة.
6. "الالتزام بالقواعد الأصولية والفقهية": في الاستنباط والترجيح.

خامساً: أبرز المفسرين بالرأي

- "الزمخشري" (ت 538هـ) في -الكشاف-: اعتمد على اللغة والبلاغة، لكنه تأثر بالاعتزال في العقيدة.

- "الرازي" (ت 606هـ) في -مفاتيح الغيب-: توسع في الاستنباطات العقلية والفلسفية.

- "أبو حيان الأندلسي" (ت 745هـ) في -البحر المحيط-: جمع بين اللغة والأحكام والقراءات.

- "القرطبي" (ت 671هـ) في -الجامع لأحكام القرآن-: غلب عليه التفسير الفقهي الاجتهادي.

خاتمة

التفسير بالرأي والاجتهاد مسلك ضروري في فهم كتاب الله، لأنه يفتح المجال أمام العقول المؤهلة لاستخراج معاني القرآن وربطها بحاجات الأمة. لكنه سلاح ذو حدين: فإن انضبط بالعلم والأصول صار محمودًا، وإن انفلت إلى الهوى صار مذمومًا. ومن هنا، وجب على طلاب العلم التمييز بين "الاجتهاد العلمي الرصين" و"التأويل الباطل المنحرف".

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
2. الذهبي، -التفسير والمفسرون-.
3. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
4. القرطبي، -الجامع لأحكام القرآن-.
5. الفراهي، -التفسير بالرأي-.

المحاضرة التاسعة: تفسير القرآن بالإسرائيليات

– مقدمة

من الظواهر البارزة في كتب التفسير دخول "الإسرائيليات"؛ وهي الروايات المأخوذة من كتب اليهود والنصارى أو من أحاديث أحبارهم ورهبانهم. وقد دخلت إلى التفسير عن طريق بعض "أهل الكتاب الذين أسلموا" كـ كعب الأحبار ووهب بن منبه، أو عن طريق روايات التابعين ممن أخذوا عنهم.

وقد شكّلت الإسرائيليات مادة جدلية بين العلماء: فمنهم من تساهل في ذكرها، ومنهم من رفضها مطلقًا، ومنهم من توسط فجعلها ثلاثة أقسام.

أولًا: تعريف الإسرائيليات

- "لغةً": جمع "إسرائيلية" نسبة إلى -إسرائيل- وهو يعقوب عليه السلام.

- "اصطلاحًا": الأخبار والروايات المأخوذة من كتب اليهود والنصارى، أو مما نُقل عن علمائهم، والتي أُدخلت في تفسير القرآن الكريم.

ثانياً: أسباب دخول الإسرائيليات في التفسير

1. "اختلاط المسلمين بأهل الكتاب" بعد الفتوحات الإسلامية.
2. "رغبة بعض المفسرين" في معرفة تفاصيل القصص القرآني، كالأنبياء والأمم السابقة.
3. "رواية بعض الصحابة والتابعين" لما سمعوه من أهل الكتاب من باب الاستئناس أو التوسع.
4. "عدم وجود نص قرآني أو حديثي مفصل" في بعض المواضع، مما دفع البعض لملء الفراغ بهذه الأخبار.

ثالثاً: أقسام الإسرائيليات

قسّم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أنواع (ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-):

1. "ما وافق الشرع"

- وهي الأخبار التي لها شاهد من القرآن أو السنة.
- هذه تُقبل ويُستأنس بها.

- مثال: رواية عن الطوفان توافق قوله تعالى: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ} [سورة القمر: 11].

2. "ما خالف الشرع"

- وهي الأخبار التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية أو نصوص الوحي.

- هذه تُرفض مطلقًا.

- مثال: نسبة الزنا أو شرب الخمر إلى بعض الأنبياء في كتبهم، وهو باطل قطعًا.

3. "ما سكت عنه الشرع"

- لا يوجد ما يصدقه أو يكذبه.

- يجوز روايته للعبرة، لكن دون تصديق أو تكذيب جازم.

- دليل ذلك: قول النبي ﷺ: -«حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»- (رواه البخاري)، وقوله: -«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»- (رواه البخاري).

رابعاً: مواقف العلماء من الإسرائيليات

1. "المتساهلون": كابن جرير الطبري، الذي ذكر كثيرًا من الإسرائيليات لكنه غالبًا يسندها ويميز الصحيح من الضعيف.

2. "المتشددون": كابن حزم الذي رفضها كلها تقريبًا.

3. "المتوسطون": كابن كثير، الذي ذكرها لكنه علّق عليها بالنقد وقال: -"هذا مما لا يصح، والظاهر أنه من خرافات أهل الكتاب"- (-تفسير القرآن العظيم-).

خامساً: ضوابط التعامل مع الإسرائيليات

1. عدم قبول ما يخالف القرآن أو السنة.

2. الاستئناس بما وافق الوحي دون جعله أصلاً للتفسير.

3. الحذر من جعلها أساسًا لبناء العقيدة أو الأحكام الشرعية.

4. اعتماد الإسرائيليات في باب القصص للعظة فقط، لا للاستدلال القطعي.

قال الشاطبي: -"ما كان من الإسرائيليات موافقًا لأصولنا فذاك، وما كان مخالفًا فمردود، وما كان مسكوتًا عنه فموقوف"- (-الموافقات-).

خاتمة

الإسرائيليات في التفسير تمثل "إضافة تاريخية وثقافية" لكنها لا تُعد مصدرًا تشريعيًا ولا مرجعًا أصليًا لفهم القرآن. وقد اعتمد العلماء الموثوقون على قاعدة وسطية: "القبول لما وافق، والرد لما خالف، والتوقف فيما سكت عنه الشرع". وهكذا يُحافظ التفسير الإسلامي على نقائه من شوائب التحريف والخرافات التي علقت بكتب أهل الكتاب.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
2. ابن كثير، -تفسير القرآن العظيم-.
3. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
4. الذهبي، -التفسير والمفسرون-.
5. الشاطبي، -الموافقات-.

المحاضرة العاشرة: اختلاف السلف في التفسير وأنواعه

– مقدمة

الصحابة والتابعون ومن بعدهم من "السلف الصالح" كانوا أقرب الناس إلى القرآن فهمًا وتفسيرًا، ومع ذلك وُجد بينهم "اختلاف في بعض معاني الآيات".

وهذا الاختلاف لا يُقدح في حجية التفسير المأثور، بل يكشف عن "ثراء دلالات النص القرآني" واتساعه للتعدد المعنوي في إطار لا يخرج عن حدود الشريعة.

قال ابن تيمية: -"الاختلاف بين السلف في التفسير قليل، وأكثر ما يصح عنهم من ذلك اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد"- (-مقدمة في أصول التفسير-).

أولًا: معنى اختلاف السلف في التفسير

- "اختلاف السلف في التفسير": هو تعدد أقوال الصحابة والتابعين في تفسير آية أو كلمة من القرآن الكريم.

- ينقسم إلى نوعين:

1. اختلاف "تنوع": كل قول يذكر جانبًا من المعنى، ويمكن الجمع بينها.
2. اختلاف "تضاد": لا يمكن الجمع بينها، فيُصار إلى الترجيح.

ثانياً: أسباب اختلاف السلف في التفسير

من حيث الإجمال فإن أسباب اختلاف السلف يمكن حصرها في العناصر الآتية:

1. "تعدد المعاني اللغوية": الكلمة قد تحتمل أكثر من معنى صحيح في اللغة.
2. "تفاوت الاطلاع": بعض الصحابة شهدوا أسباب النزول، وغيرهم لم يشهدها.
3. "تعدد القراءات القرآنية": القراءة قد توضح معنى غير ما توضحه قراءة أخرى.
4. "اختلاف الزوايا في النظر": بعضهم يفسر بالعموم، وآخر بالتفصيل، وثالث بالتمثيل.
5. "الاجتهاد الشخصي": اختلاف اجتهاداتهم في الجمع بين النصوص وتطبيقها.

وللتفصيل نقول:

1. "تعدد المعاني اللغوية"

- اللغة العربية غنية بالألفاظ المتعددة المعاني، وقد يختار كل مفسر معنى صحيحًا منها.

- "مثال": قوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ} [سورة البقرة: 200].
- قال بعضهم: -المناسك = الحج كله-.
- وقال آخرون: -المناسك = أعمال الحج خاصة كالطواف والسعي-.
→ وكلا القولين صحيح، فالمنسك يطلق على العموم والخصوص في اللغة.

2. "تفاوت الاطلاع على أسباب النزول"

- بعض الصحابة شهدوا نزول الآية فعرفوا سياقها، بينما لم يشهده آخرون فاختلف تفسيرهم.
- "مثال": قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} [سورة النساء: 101].
- روى يعلى بن أمية أنه سأل عمر بن الخطاب عن هذه الآية فقال: "سألت النبي ﷺ فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته" (رواه مسلم).
- بعض الصحابة ظن أن القصر مشروط بالخوف، لأن السياق ذكر: {إِنْ خِفْتُمْ}.
- لكن عمر ومن سمع من النبي ﷺ علموا أن القصر مشروع في السفر مطلقًا، سواء مع الخوف أو بدونه.

3. "تعدد القراءات القرآنية"

- القراءات توضح معاني مختلفة لكنها متكاملة.
- "مثال": قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [سورة الفاتحة: 4].
- قراءة: "مَالِكِ" أي المالك المتصرف.
- قراءة: "مَلِكِ" أي الحاكم الآمر الناهي.
→ كلاهما حق، والآية تحتمل المعنيين.

4. "اختلاف الزوايا في النظر إلى المعنى"

- قد ينظر أحدهم إلى المعنى العام، وآخر إلى معنى خاص أو جزئي.
- "مثال": قوله تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [سورة الأنعام: 141].
- قال ابن عباس: الحق هنا -الزكاة الواجبة-.
- وقال مجاهد: بل هو -ما يُتصدَّق به من غير الزكاة- (صدقة تطوع).

← الاختلاف هنا بالنظر: ابن عباس حمله على الفرض، ومجاهد على النفل، وكلاهما داخل في معنى "الحق".

5. "الاجتهاد الشخصي وتفاوت المدارك"

- بعضهم قد يستدل بسياق خاص، وآخر يستدل بسياق عام.
- "مثال": في تفسير قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ} [سورة البقرة: 228]
- بعضهم فسره بعموم المطلقات (ثلاثة قروء).
- وآخرون قيدوه بالمدخول بها دون غيرها.

وبهذا يظهر أن اختلاف السلف في التفسير ليس فوضى، بل هو اجتهاد مضبوط بالأصول، وأكثره اختلاف تنوع لا تضاد، ومعالجته تحتاج إلى "تحقيق الروايات، والتفريق بين الأنواع، والجمع أو الترجيح".

ثالثاً: أنواع اختلاف السلف في التفسير

1- اختلاف التنوع

- هو أن يعبر كل مفسر عن معنى من المعاني المحتملة الصحيحة، ولا تعارض بين الأقوال.
- مثال: في قوله تعالى: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [سورة التكوير: 18]
- قال بعضهم: إذا أضاء.
- وقال آخرون: إذا ارتفع.
- وكلاهما صحيح لأن التنفس يشمل الإضاءة والامتداد.

2- اختلاف التضاد

- هو اختلاف لا يمكن الجمع بينه، إذ يثبت أحد المعنيين وينفي الآخر.
- مثال: في قوله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [سورة عبس: 31]
- قال ابن عباس: الأبّ هو الكلأ للبهائم.
- وقال آخرون: الأبّ هو الثمار.
- هنا لا يمكن الجمع، فيلزم الترجيح، والراجح أنه الكلأ لأنه مقابل للفواكه التي يأكلها الناس.

رابعًا: ضوابط التعامل مع اختلاف السلف

من حيث الإجمال:

1. "التحقق من صحة الرواية": كثير من الأقوال تنسب للسلف بلا سند صحيح.
2. "التمييز بين اختلاف التنوع والتضاد": حتى لا يُظن وجود تعارض حيث لا تعارض.
3. "الجمع بين الأقوال متى أمكن": لأنه أدعى لإغناء المعنى.
4. "الترجيح عند التعارض": بالاعتماد على السياق القرآني، واللغة، وأقوال الأكثر علمًا.
5. "مراعاة القراءات": لأن القراءات قد ترفع بعض صور الاختلاف.

ومن حيث التفصيل:

1. "التحقق من صحة الرواية"

- بعض الأقوال تُنسب للصحابة أو التابعين ولا تصح إسنادًا.
- "مثال": نسب إلى ابن عباس أن "البَحِيرَة" في قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ} [سورة المائدة: 103] أنها "الناقة الممنوعة من اللبن"، وهذا صحيح عنه. لكن وُجدت روايات أخرى ضعيفة تفسرها بمعانٍ مختلفة لا تثبت.

2. "التمييز بين اختلاف التنوع والتضاد"

- مهم حتى لا يُظن وجود تعارض.
- "مثال": في قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} [سورة القلم: 42].
- قال ابن عباس: الساق = -شدة الأمر-.
- وقال آخرون: -كشف حقيقي يليق بالله تعالى-.
- هنا يظهر أن بعض الأقوال اختلاف تنوع (بعضهم نظر إلى المعنى اللغوي، وآخرون إلى البعد العقدي). فيلزم الجمع أو الترجيح بحسب الدليل.

3. "الجمع بين الأقوال متى أمكن"

- إذا كانت الأقوال كلها صحيحة المعنى ولا تنافي بينها، فيُحمل النص على الشمول.
- "مثال": في قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} [سورة البقرة: 213].
- قال بعضهم: الهداية = البيان والإرشاد.

- وقال آخرون: الهداية = التوفيق للعمل.

→ الجمع بينهما أن الهداية نوعان: بيان ودلالة، ثم توفيق وخلق للعمل.

4. "الترجيح عند التعارض الحقيقي"

- بالاعتماد على القرآن والسنة واللغة والسياق.

- "مثال": في قوله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [سورة عبس: 31].

- قول ابن عباس: الأبّ = الكلأ والمرعى للبهائم.

- قول آخر: الأبّ = الفاكهة للناس.

- لا يمكن الجمع، فصار الترجيح لمعنى "الكلأ" لأنه الأقرب سياقًا (مقابلة الفاكهة بما للأنعام).

5. "مراعاة القراءات"

- لأن اختلاف القراءات يوضح المعاني ويرفع بعض الاختلاف.

- "مثال": قوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ} [سورة البقرة: 132].

- قراءة: "وصّى" أي أوصى.

- قراءة: "أوصى" بنفس المعنى تقريبًا.

- اختلاف القراءات قد يفسر تنوع الأقوال في معنى التوصية.

خامساً: فوائد اختلاف السلف في التفسير

1. يكشف عن "ثراء المعاني القرآنية".
2. يعكس "مرونة النص القرآني" في احتوائه لمعانٍ متعددة.
3. يساعد على "التوسع في الفقه والاستنباط".
4. يبين لنا "منهج السلف في الاجتهاد": حيث لا تعصب ولا تضييق.

قال ابن القيم: -"الاختلاف بين الصحابة في التفسير أكثره من هذا الباب – أي اختلاف التنوع – وهو من محاسن كلامهم وتنوع علومهم"- (-بدائع الفوائد-).

خاتمة

اختلاف السلف في التفسير لم يكن اختلاف تضاد إلا في مسائل محدودة، وإنما هو في الغالب "اختلاف تنوع" يثري المعنى ويكشف جوانبه المختلفة. وقد وضع العلماء قواعد لفهم هذا الاختلاف والتعامل معه: الجمع متى أمكن، والترجيح عند

التعارض. وهكذا يظهر أن اختلاف السلف في التفسير "دليل سعة النص القرآني" لا مدخل للفتنة أو التضاد فيه.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
2. ابن القيم، -بدائع الفوائد-.
3. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
4. الطبري، -جامع البيان-.
5. الذهبي، -التفسير والمفسرون-.

المحاضرة الحادية عشرة: الإجماع في التفسير

– مقدمة

الإجماع من "أقوى مصادر التشريع الإسلامي"، وهو الأصل الثالث بعد القرآن والسنة عند جمهور العلماء. وإذا كان الإجماع في الفقه قد حظي باهتمام واسع، فإن البحث في "الإجماع في التفسير" يُعدّ من القضايا المهمة، لأنه يتعلق ببيان المعنى المراد من كلام الله تعالى، ويُعد ضابطًا من الضوابط الكبرى في فهم النص القرآني.

قال ابن تيمية: -"إذا أجمع السلف على تفسير آية كان قولهم حجة لا يجوز مخالفته"- (-مقدمة في أصول التفسير-).

أولًا: تعريف الإجماع في التفسير

1. "لغةً": الاتفاق، يقال: "أجمع القوم" إذا اتفقوا على أمر واحد.
2. "اصطلاحًا": اتفاق مجتهدي الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ على حكم شرعي.
3. "في التفسير": هو اتفاق الصحابة أو السلف أو علماء الأمة على معنى آية أو حكم مأخوذ منها، بحيث لا يُعرف لهم مخالف معتبر.

ثانياً: حجية الإجماع في التفسير

- جمهور الأصوليين يرون أن "الإجماع في التفسير حجة ملزمة"، لأنه بيان لما أراده الله تعالى من كلامه.

- وإذا كان الإجماع في الفقه حجة، فإن الإجماع في التفسير أولى بالحجية، لأنه يتعلق ببيان المراد من الوحي.

- قال الشافعي: -"لا يحل لأحد أن يقول في كتاب الله إلا بما أجمع عليه المسلمون، أو بما ثبت فيه الخبر عن رسول الله ﷺ"- (-الرسالة-).

ثالثاً: مصادر الإجماع في التفسير

1. "إجماع الصحابة":

- إذا اتفق الصحابة على تفسير آية معينة، كان قولهم حجة.

- مثال: في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [سورة البقرة: 43].

- أجمع الصحابة على أن إقامة الصلاة تعني -القيام بها بشروطها وأركانها-، وليس مجرد أدائها باللسان أو الشكل.

2. "إجماع التابعين ومن بعدهم":

- إذا نقل التابعون أقوال الصحابة في التفسير واتفقوا عليها دون مخالفة، عدّ إجماعًا.

- مثال: في قوله تعالى: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} [سورة النساء: 2].

- أجمع السلف أن "اليتامى" هنا هم الصغار الذين لم يبلغوا، وأن المقصود تسليم أموالهم عند الرشد.

3. "الإجماع المستند إلى اللغة والشرع":

- حيث يُجمع المفسرون على معنى لغوي مدعوم بالسياق الشرعي.

- مثال: كلمة {الصَّلَاة} في القرآن.

- أجمع المفسرون أنها لا تعني مطلق الدعاء فقط، بل هي العبادة المخصوصة ذات الأركان المعروفة.

رابعاً: أمثلة تطبيقية على الإجماع في التفسير

1. "الإجماع على معنى "الربا""

- في قوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [سورة البقرة: 275].

- أجمع المفسرون أن الربا هو -الزيادة المشروطة في المعاوضات المالية-، ولم ينقل عن أحد من الصحابة تفسير مخالف لذلك.

2. "الإجماع على عدد الصلوات المفروضة"

- في قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} [سورة الإسراء: 78].

- أجمع المسلمون أن هذه الآية دلت على "الصلوات الخمس المفروضة"، وهذا المعنى ثابت بالسنة وإجماع الصحابة.

3. "الإجماع على أن "الصيام" هو الإمساك عن المفطرات"

- في قوله تعالى: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [سورة البقرة: 185].

- أجمع السلف أن الصوم هو -الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس-.

خامساً: ضوابط قبول الإجماع في التفسير

1. "تحقق صحة النقل": لا يثبت الإجماع بمجرد نقل قول واحد أو اثنين، بل لا بد من ثبوت الاتفاق وعدم وجود مخالف.

-مثال: ما نُقل عن ابن عباس وحده لا يُسمى إجماعًا، إلا إن وافقه غيره من الصحابة ولم يعرف لهم مخالف.

2. "التأكد من شمول الإجماع": بعض المسائل وقع فيها اختلاف، فلا يصح الادعاء بالإجماع فيها.

-مثال: في معنى {الْقُرُوء} [سورة البقرة: 228]، اختلف الصحابة بين "الحيض" و"الطهر"، فلم يتحقق الإجماع.

3. "التمييز بين الإجماع القطعي والإجماع العملي":

- القطعي: حيث يصرح العلماء بوجود اتفاق صريح.
- العملي: حيث يظهر اتفاقهم في التطبيق العملي وإن لم يُنقل عنهم نصًا.

خاتمة

الإجماع في التفسير يعدّ من "أقوى الأدلة" في فهم القرآن الكريم، وهو ضابط يحفظ الأمة من الاضطراب في تفسير النصوص. فإذا أجمع الصحابة أو السلف على معنى آية كان ذلك هو التفسير الحق الذي لا يسوغ مخالفته. غير أن الاحتياط واجب في "إثبات الإجماع"، لأن كثيرًا مما ينسب إلى الإجماع قد يكون في الحقيقة قول الأكثرية لا الكل.

مراجع المحاضرة

1. الشافعي، -الرسالة-.
2. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
3. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
4. ابن حزم، -الإحكام في أصول الأحكام-.
5. الزركشي، -البرهان في علوم القرآن-.

المحاضرة الثانية عشرة: الأصول التي يدور عليها التفسير

– مقدمة

إن علم التفسير من العلوم الشرعية التي تقوم على أسس راسخة وأصول محددة، وضعها العلماء حمايةً لمعاني القرآن من التحريف والتأويل الباطل، وصيانةً له عن التفسير المبتدع القائم على الهوى أو الانحراف الفكري. وهذه الأصول هي المرجع الرئيس لكل مفسر يريد أن يلج ميدان التفسير، بحيث تعطيه الضبط المنهجي اللازم لفهم كلام الله تعالى على الوجه الصحيح.

يقول ابن تيمية: -"أصح طرق التفسير أن يُفسر القرآن بالقرآن، فإن لم تجد فبالسنة، فإن لم تجد فبأقوال الصحابة، فإن لم تجد فبأقوال التابعين، فإن لم تجد فبلغة القرآن"- (-مقدمة في أصول التفسير-).

أولًا: مفهوم أصول التفسير

- "الأصول": - "الأصول لغةً": جمع أصل، وهو ما يُبنى عليه غيره.

- "اصطلاحًا": القواعد المنهجية الكلية التي يعتمدها المفسر لفهم النص القرآني واستنباط معانيه.

أو هي : القواعد الكلية والمناهج الأساسية التي يرجع إليها المفسر في فهم كلام الله تعالى.

- "أهميتها": تمنع التفسير بالرأي المذموم، وتحفظ المفسر من الانحراف أو التقول على الله بغير علم.

- "وظيفتها": ضمان أن يكون التفسير قائمًا على الوحي واللغة والقواعد المعتبرة، بعيدًا عن الظنون الباطلة.

ثانياً: أهم الأصول التي يدور عليها التفسير

1– التفسير بالقرآن

- القرآن يُفسر بعضه بعضًا، فالآيات المجمَلة تُفصَّل في موضع آخر.

- "مثال": قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [سورة الأنعام: 82].

- فسّرها الصحابة بالظلم العام، فبيّن النبي ﷺ أن المقصود -الشرك-، واستشهد بقوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة لقمان: 13].

- "مثال": قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [سورة الفاتحة: 6].

- فسرها القرآن نفسه بقوله: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [سورة الفاتحة: 7]، ثم بيّن هؤلاء المنعَم عليهم بقوله: {فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [سورة النساء: 69].

2- التفسير بالسنة

- النبي ﷺ هو المبيّن لكلام الله تعالى، وما صح عنه في التفسير فهو أصل لا يُخالف وهو المرجع الثاني بعد القرآن.

- "مثال": قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [سورة البقرة: 43].

- لم يرد تفصيل الصلاة في القرآن، لكن السنة بينت أوقاتها وأركانها وهيئاتها، فقال ﷺ: -«صلوا كما رأيتموني أصلي»- (رواه البخاري).

- "مثال": قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [سورة يونس: 26].

- فسّر النبي ﷺ "الزيادة" بأنها -النظر إلى وجه الله الكريم- (رواه مسلم، كتاب الإيمان).

3- التفسير بأقوال الصحابة

- الصحابة شهدوا التنزيل وعرفوا أسباب النزول، وكانوا أعلم الناس بمراد القرآن.

- "مثال": تفسير ابن عباس لقوله تعالى: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [سورة هود: 7] أي قبل خلق السموات والأرض، نقله الطبري بسنده.

- "مثال": تفسير ابن مسعود لقوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ} [سورة المائدة: 38] بأن المقصود -من سرق ربع دينار فأكثر-، كما رواه البخاري.

4- التفسير بأقوال التابعين

- أخذوا عن الصحابة مباشرة، وأقوالهم حجة إذا لم يوجد خلاف بينهم وبين الصحابة وخصوصًا من عُرف بلزومه لهم مثل مجاهد وعكرمة والحسن البصري.

- "مثال": تفسير مجاهد لقوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [سورة الواقعة: 10] بأنهم الذين بادروا إلى الإسلام من كل أمة (أخرجه الطبري في -جامع البيان-).

- "مثال": تفسير مجاهد لقوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [سورة الفاتحة: 7] بأنهم اليهود، و{وَلَا الضَّالِّينَ} بأنهم النصارى.

5- التفسير باللغة العربية

- القرآن نزل بلسان عربي مبين، فلا بد من معرفة اللغة والنحو والبلاغة والرجوع إلى أصول اللغة والبيان.

- "مثال": قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [سورة النجم: 1].

- اختلف في معنى "هوى" هل هو السقوط أو الغروب، وكلها معانٍ صحيحة في اللغة.

- "مثال": قوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ} [سورة البقرة: 200].

- "قَضَيْتُم" في اللغة تعني "أديتم وأكملتم"، أي بعد إتمام الحج.

6- التفسير بالرأي والاجتهاد المنضبط

- إذا لم يُوجد نص صريح، جاز للمفسر أن يجتهد بما يوافق اللغة والسياق وقواعد الشريعة.

- "مثال": تفسير بعض السلف لقوله تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [سورة المطففين: 15] بأن المحجوبين هم الكفار، ويُستفاد بالمقابلة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

- "مثال": استنباط العلماء من قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [سورة الإسراء: 32] أن النهي يشمل كل ما يؤدي إلى الزنا من النظر والخلوة واللمس، وهو اجتهاد مبني على مقاصد الشريعة.

ثالثاً: ضوابط التزام الأصول في التفسير

1. "تقديم النصوص على الرأي": فلا يصح تأويل آية مع وجود نص صريح في القرآن أو السنة.

- مثال: لا يصح تفسير {الصَّلَاة} بالدعاء فقط مع وجود بيان السنة لهيئات الصلاة.

2. "الجمع بين الأدلة": عند وجود أكثر من نص يفسر آية، يجب الجمع بينها وعدم إهمال بعضها.

- مثال: آيات المواريث يجب أن تُفهم مع الأحاديث التي تبيّن تفاصيل العصبات والحجب.

3. "ردّ المتشابه إلى المحكم": لأن القرآن منه محكم ومتشابه، والمحكم هو المرجع والضابط، والمتشابه لا يُفهم إلا به.

- مثال: قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [سورة طه: 5] يفسر بما يليق بجلال الله دون تشبيه أو تعطيل، وبالرجوع للمحكم: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [سورة الشورى: 11].

4. "الحذر من الإسرائيليات": فلا تُجعل أصلًا في التفسير، وإنما يستأنس بها فقط إن لم تخالف نصوص الشرع.

5. "التجرد من الهوى": لأن التفسير بالرأي المذموم من أخطر الانحرافات.

رابعاً: تطبيق عملي للأصول

- "آية الوضوء": {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...} [سورة المائدة: 6].

- "بالقرآن": يعضده قوله تعالى: {وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} [سورة المائدة: 6].

- "بالسنة": السنة بيّنت كيفية الوضوء بالفعل (حديث عثمان في صحيح مسلم).

- "بأقوال الصحابة": أجمعوا أن الترتيب في الوضوء واجب.

- "باللغة": معنى "امسحوا برءوسكم" يشمل البعض أو الكل، فوقع الخلاف الفقهي.

- "بالاجتهاد": استنبط العلماء حكم الترتيب والموالاة.

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} [سورة البقرة: 183].

- "بالقرآن": تُفسر بالآيات التي بعدها {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ...} [سورة البقرة: 184].

- "بالسنة": النبي ﷺ بيّن أن الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس (حديث البخاري ومسلم).

- "بالصحابة": أجمعوا على أن الصيام عبادة مفروضة على المكلفين القادرين.
- "باللغة": كلمة "الصيام" تعني الإمساك مطلقًا، ثم خصصتها الشريعة.
- "بالاجتهاد": استنبط العلماء أحكامًا تفصيلية مثل حكم الحقنة أو التقيؤ أو السحور.

خاتمة

الأصول التي يدور عليها التفسير بمثابة "الإطار المنهجي" لفهم القرآن الكريم، ويقي المفسر من الانحراف، ويضمن أن يكون فهم القرآن قائمًا على الوحي أولًا، ثم على لسان العرب ثانيًا، ثم على الاجتهاد المنضبط ثالثًا. وكل من خالف هذه الأصول وقع في التفسير المذموم، الذي حذر منه العلماء.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
2. الطبري، -جامع البيان عن تأويل آي القرآن-.
3. الزركشي، -البرهان في علوم القرآن-.
4. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
5. الذهبي، -التفسير والمفسرون-.
6. ابن عاشور، -التحرير والتنوير-.

المحاضرة الثالثة عشرة: توجيه أقوال المفسرين

– المقدمة

يُعد "توجيه أقوال المفسرين" من المباحث الدقيقة في علوم القرآن، إذ يتناول دراسة ما ورد عن المفسرين من تفسيرات متعدّدة لنص قرآني واحد، ثم محاولة "الجمع بينها أو الترجيح" أو بيان كيفية انسجامها مع السياق. وهذا التوجيه يمثل جهدًا علميًا رصينًا في إزالة مظنة التعارض بين الأقوال، ويُظهر عمق النص القرآني وثراء دلالاته.

قال الإمام الشاطبي: -"الاختلاف في التفسير إذا كان من باب اختلاف التنوع، فهو راجع إلى وجوه صحيحة لا تناقض بينها، بل كل وجه منها معتبر في ذاته"- (-الموافقات-، ج 3، ص. 333).

أولًا: تعريف توجيه أقوال المفسرين

- "لغةً": التوجيه هو الإبانة والبيان عن المقصود.

- "اصطلاحًا": هو -بيان وجه القول في التفسير، مع محاولة رفع التعارض بين الأقوال أو الجمع بينها وفق القواعد الأصولية واللغوية والشرعية-.

ثانياً: أسباب تعدد أقوال المفسرين

1. "تعدد المعاني اللغوية للكلمة"

- بعض الألفاظ القرآنية تحتمل أكثر من معنى في لغة العرب.

- مثال: لفظ {الْقُرُوء} [سورة البقرة: 228]، اختلف فيه الصحابة بين -الحيض- و -الطهر-.

2. "اختلاف تنوع لا تضاد"

- قد يذكر المفسرون وجوهًا متعددة كلها صحيحة ومتكاملة.

- مثال: في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [سورة الفاتحة: 6].

- فُسّر بالصراط: -الإسلام، والقرآن، وطريق العبودية، وطريق الجنة-. وكلها معانٍ صحيحة متكاملة.

3. "اختلاف اجتهادي مبني على النظر والاستدلال"

- المفسرون قد يختلفون في فهم المراد من السياق أو السبب.

- مثال: تفسير {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [سورة الفاتحة: 7] هل هم اليهود فقط، أم كل من اتصف بالغضب؟ وكلا الوجهين له اعتبار.

ثالثاً: أنواع توجيه أقوال المفسرين

1- "التوفيق والجمع بين الأقوال"

- إذا كانت الأقوال متكاملة وليست متناقضة، فالأصل حملها على التنوع.

- "مثال": قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [سورة الأعراف: 172].

- ورد قولان:

1. أن الله استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم وأشهدهم.
2. أن ذلك تمثيل على سبق علم الله بخلقه.

- وكلا القولين يُجمعان: أحدهما بيان للحقيقة، والآخر بيان للمآل.

2- "الترجيح بين الأقوال"

- إذا تعارضت الأقوال، يُرجَّح أحدها وفق القواعد: قوة السند، موافقة السياق، مطابقة اللغة، أو تأييد السنة.

- "مثال": في تفسير {الْقُرُوء} [سورة البقرة: 228].

- رجّح جمهور الفقهاء قول من قال إنها -الحيض- لموافقته لغة القرآن والسنة.

3- "بيان الضعيف من الأقوال"

- بعض الأقوال تُردّ لضعف سندها أو مخالفتها للنصوص القطعية.

- "مثال": من فسر قوله تعالى {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [سورة طه: 5] بأن -الاستواء بمعنى الاستيلاء-.

- ردّه كثير من العلماء لأنه تأويل متأخر يخالف ما أجمع عليه السلف.

رابعاً: ضوابط توجيه أقوال المفسرين

1. "الرجوع إلى النصوص القطعية" (القرآن والسنة الصحيحة).
2. "اعتماد لغة العرب وأساليب البيان".
3. "النظر في السياق القرآني": إذ كثيرًا ما يحدد السياق معنى اللفظ.
4. "التمييز بين اختلاف التنوع والتضاد": فلا يُعد خلافًا ما كان من باب التنوع.

5. "تقديم قول السلف": فهم المرجع الأول في التفسير.

خامساً: تطبيقات عملية

المثال الأول: قوله تعالى {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [سورة الفاتحة: 7]

- قال ابن عباس: المغضوب عليهم -اليهود-، والضالون -النصارى-.
- وقال بعض المفسرين: بل كل من غضب الله عليه وكل من ضل عن الحق.
- "التوجيه": القول الأول بيان للمصداق الأوضح، والثاني تعميم للمعنى. ولا تعارض بينهما.

المثال الثاني: قوله تعالى {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [سورة عبس: 31]

- اختلفوا في معنى {أَبًّا}:
- قيل: العشب للبهائم (عن أبي بكر الصديق).
- قيل: الكلأ والمرعى (عن ابن عباس).
- "التوجيه": كلاهما متقارب في المعنى، إذ الأب يشمل ما ترعاه الدواب من كلأ وعشب.

المثال الثالث: قوله تعالى {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ} [سورة المائدة: 38]

- قيل: القطع واجب عند ربع دينار (ابن مسعود).
- وقيل: عند ثلاثة دراهم (عثمان).
- "التوجيه": الاختلاف هنا في -تقدير النصاب-، وهو اختلاف اجتهادي مبني على اختلاف الروايات، ولا يقدح في أصل وجوب الحد.

الخاتمة

توجيه أقوال المفسرين يمثل "مرحلة منهجية متقدمة" في علم التفسير، تحفظ من التناقض، وتُظهر أن كثيرًا من الخلاف هو اختلاف تنوع وتكامل لا اختلاف تضاد. والمفسر المحقق هو الذي يجمع بين الأقوال متى أمكن، ويرجح بينها عند الحاجة، ملتزمًا بقواعد الشريعة وأصول اللغة، ليبقى التفسير منضبطًا بعيدًا عن الفوضى التأويلية.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
2. الطبري، -جامع البيان-.
3. ابن عطية، -المحرر الوجيز-.
4. القرطبي، -الجامع لأحكام القرآن-.
5. الزركشي، -البرهان في علوم القرآن-.
6. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
7. الشاطبي، -الموافقات-.
8. الذهبي، -التفسير والمفسرون-.

المحاضرة الرابعة عشرة: التفسير والقراءات

– المقدمة

إن "علم القراءات" مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم التفسير؛ إذ يُعدّ من أهم أدوات المفسر لفهم دلالات النص القرآني واستنباط الأحكام منه. فالقراءات القرآنية ليست مجرد تنويع صوتي أو لفظي، بل هي روايات متواترة عن النبي ﷺ، تحمل في طياتها أبعادًا دلالية وثراءً بيانيًا يُعين على كشف معاني القرآن. ومن هنا كان لزامًا على طالب علم التفسير أن يتقن هذا الجانب، ويدرك أثره في توجيه المعنى.

يقول الإمام الزركشي: -"القراءات باب من العلم يُستفاد به المعاني، وبه يظهر اتساع دلالة القرآن"- (-البرهان في علوم القرآن-، ج 1، ص. 318).

أولًا: تعريف القراءات وعلاقتها بالتفسير

- "القراءات لغةً": جمع قراءة، وهي مصدر "قرأ".

- "اصطلاحًا": اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف أو الكيفيات، مع اتفاق المعنى أو اختلافه أحيانًا، مع صحة السند وموافقة الرسم العثماني واللغة العربية.

- "علاقتها بالتفسير":

- تُعدّ القراءات بمثابة "نصوص موازية" تفتح آفاقًا جديدة لفهم المعنى القرآني.

- قد تؤكد معنى واحدًا، أو تضيف معاني متعددة متكاملة، أو تفتح بابًا لاجتهاد فقهي أو لغوي.

ثانياً: أثر القراءات في التفسير

1- توسيع الدلالة

- بعض القراءات تضيف معنى جديدًا للآية دون إلغاء المعنى الآخر.

- "مثال": قوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ} [سورة البقرة: 132].

- قرئت: -ووصى- (بالتشديد) أي أوصى.

- وقرئت: -وأوصى- (بالهمز).

- "التوجيه": كلا القراءتين صحيحتان، تدلان على أن إبراهيم أمر أبناءه ونصحهم وأوصاهم، مما يوسع المعنى.

2- بيان المجمل وتوضيح المبهم

- القراءات قد تفسر لفظًا يحتمل أكثر من معنى.
- "مثال": قوله تعالى: {وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ} [سورة الواقعة: 29].
- قرئت: -وطلح- أي شجر الموز.
- وقرئت: -وطلع- أي ثمر النخل.
- "التوجيه": المعنيان متكاملان في وصف نعيم أهل الجنة، ولا تضاد بينهما.

3- بيان الحكم الشرعي

- أحيانًا تؤثر القراءات في الحكم الفقهي.
- "مثال": قوله تعالى: {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ} [سورة المائدة: 6].
- قرئت: -وأرجلكم- بالنصب (عطفًا على الوجوه: الغسل).
- وقرئت: -وأرجلكم- بالجر (عطفًا على الرؤوس: المسح).
- "التوجيه": جمع العلماء بين القراءتين، فقالوا: الغسل عند ظهور النجاسة، والمسح عند لبس الخف، مما فتح بابًا لاجتهاد فقهي واسع.

4- تعميق البعد البياني

- اختلاف القراءات يظهر براعة الأسلوب القرآني.
- "مثال": قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [سورة الفاتحة: 4].
- قرئت: -مَلِك يوم الدين-.
- وقرئت: -مالك يوم الدين-.
- "التوجيه": القراءة الأولى تُظهر صفة الملك المطلق، والثانية صفة الملكية الخاصة بيوم الحساب، وكلتاهما تثبت الكمال لله تعالى.

ثالثاً: أنواع تأثير القراءات في التفسير

1. "تفسير يرفع الإبهام"

- كقراءة {وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ} [سورة الإنسان: 15]، قرئت -قوارير- و-قواريرا-.

2. "تفسير يوسع المعنى"

- مثل {نُنشِزُهَا} [سورة البقرة: 259] قرئت: -ننشرها- (نحييها) و-ننشرها- (نركب بعضها على بعض).

3. "تفسير يغيّر الحكم الفرعي"

- مثل {فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [سورة الجمعة: 9]، قرئت أيضًا: -فاسعوا-.

- السعي هنا لا يعني الجري، بل الاهتمام والجد في الذهاب للصلاة.

رابعاً: ضوابط التعامل مع القراءات في التفسير

1. "التسليم بتواتر القراءات الصحيحة": فهي جميعها قرآن متعبد بتلاوته.
2. "عدم إلغاء أي قراءة": لأن كل قراءة تزيد المعنى وتثريه.
3. "الجمع بين المعاني متى أمكن": فإذا اختلفت القراءتان حملتا على التكامل.
4. "الترجيح عند التعارض الظاهري": إذا تعذر الجمع، يُرجح ما يوافق اللغة أو السياق.

خامساً: تطبيقات عملية

المثال الأول: قوله تعالى {يُخَادِعُونَ اللَّهَ} [سورة البقرة: 9]

- قرئت: -يخادعون الله- (صيغة مفاعلة: تدل على مبادلة).
- وقرئت: -يخدعون الله- (صيغة فعل مجرد: تدل على ابتداء الخداع).
- "التوجيه": المعنيان متكاملان؛ المنافق يظن أنه يخادع الله، والله يرد خداعه عليه.

المثال الثاني: قوله تعالى {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ} [سورة البقرة: 187]

- قرئت: -الخيط الأبيض من الفجر-.
- وقرئت: -الخيط الأبيض من الفجر الصادق-.
- "التوجيه": القراءة الثانية فسّرت الأولى ورفعت الإبهام.

الخاتمة

العلاقة بين التفسير والقراءات علاقة تكامل وتلازم، فالقراءات تفتح أبوابًا جديدة للتأمل في النص القرآني، وتثري معانيه، وتعين على استنباط الأحكام الشرعية. ولا

يمكن للمفسر أن يستغني عن القراءات، فهي من الأصول الرئيسة التي تحفظ التفسير من القصور والاختزال.

مراجع المحاضرة

1. الطبري، -جامع البيان عن تأويل آي القرآن-.
2. الزركشي، -البرهان في علوم القرآن-.
3. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.
4. ابن الجزري، -النشر في القراءات العشر-.
5. القرطبي، -الجامع لأحكام القرآن-.
6. ابن عاشور، -التحرير والتنوير-.

المحاضرة الخامسة عشرة: الأقوال الشاذة في التفسير

– المقدمة

من أبرز القضايا التي واجهت المفسرين عبر العصور "ظهور الأقوال الشاذة في التفسير"، وهي أقوال خرجت عن أصول التفسير المعتبرة، إمّا لانقطاع سندها، أو لمخالفتها نصًا قطعيًا، أو لاعتمادها على تأويلات بعيدة عن لغة العرب ومقاصد الشريعة. إن دراسة هذه الأقوال تُمثل بعدًا منهجيًا مهمًا، إذ تكشف عن "الضوابط التي تحمي التفسير" من الانحراف، وتُبرز الفرق بين التفسير الصحيح القائم على الدليل، وبين التفسير القائم على الهوى أو الانحراف العقدي.

قال ابن تيمية: -"وأما التفسير المأثور عن أهل البدع والأهواء فليس بحجة ولا معتبر به، وإنما المعوَّل على ما صح عن السلف من الصحابة والتابعين"- (-مقدمة في أصول التفسير، ص. 45).

أولًا: تعريف الأقوال الشاذة في التفسير

- "لغةً": الشاذ هو الخارج عن الجمهور والمألوف.

- "اصطلاحًا": هو -التفسير الخارج عن الأصول المعتبرة في فهم النص القرآني، سواء بمخالفته اللغة العربية، أو مخالفته ما صح من النقل، أو بانفراده بقول لا يعرف له أصل عن السلف-.

ثانياً: أسباب ظهور الأقوال الشاذة

1. "الاعتماد على الإسرائيليات دون ضابط":

- مما أدى إلى إدخال أخبار باطلة أو محرفة في التفسير.

2. "التأويلات الكلامية والفلسفية":

- نتيجة محاولة بعض الفرق (المعتزلة، الباطنية، الجهمية) تطويع النصوص لتناسب عقائدهم.

3. "الاعتماد على الرأي المذموم":

- أي التفسير بمجرد الظن والهوى دون استناد إلى علم.

4. "الجهل بلغة العرب":

- مما يؤدي إلى صرف الألفاظ عن دلالاتها الأصلية.

ثالثاً: ضوابط تمييز الأقوال الشاذة

1. "مخالفة نصوص القرآن أو السنة الصحيحة".

- مثال: من فسّر قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة البقرة: 20] بمعنى "قادر على بعض الأشياء لا كلها" على طريقة المعتزلة، فهذا شاذ مردود.

2. "مخالفة إجماع السلف".

- مثال: من فسر {الرحمن على العرش استوى} [سورة طه: 5] بمعنى "استولى"؛ قول مبتدع خالف إجماع السلف.

3. "مخالفة قواعد اللغة العربية".

- مثال: تأويل بعض الصوفية لقوله {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [سورة العلق: 19] بأن المراد -الاقتراب الروحي الباطني من الذات الإلهية- بعيدًا عن المعنى العربي الظاهر.

4. "الانفراد بقول لا أصل له".

- إذا جاء المفسر بقول لم يُسبق إليه، ولم يشهد له أصل لغوي أو شرعي معتبر.

رابعاً: أمثلة تطبيقية للأقوال الشاذة

1- مثال عقدي

- تفسير الباطنية لقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [سورة البقرة: 43] بأن المقصود بها "ذكر الأئمة"!

- هذا القول شاذ مردود، لأنه يخالف إجماع الأمة على أن الصلاة عبادة مخصوصة معلومة.

2- مثال فقهي

- تفسير بعضهم لقوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ} [سورة المائدة: 38] بأن المقصود "من سرق دينًا أو عقيدة"!

- وهذا باطل مخالف لإجماع الصحابة والتابعين على أن الآية في "السرقة المالية".

3- مثال لغوي

- تأويل المعتزلة لقوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} [سورة الفجر: 22] بأن "جاء أمر ربك"، مع أن النص ظاهر في إثبات المجيء لله على وجه يليق بجلاله، دون تأويل باطل.

خامساً: الموقف العلمي من الأقوال الشاذة

1. "الردّ عليها وبيان بطلانها":

- كما فعل ابن كثير حين ردّ على كثير من الإسرائيليات في تفسيره (-تفسير القرآن العظيم-).

2. "عدم الالتفات إليها في الاستدلال":

- قال الذهبي: -"كل تفسير شاذ خالف ما صح عن السلف فمردود، ولا يُبنى عليه حكم ولا اعتقاد"- ([16]).

3. "الاكتفاء بالتفسير الصحيح المأثور":

- الأصل أن يُعتمد على ما ثبت عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، مع النظر في اللغة والسياق.

الخاتمة

الأقوال الشاذة في التفسير تمثل خطرًا منهجيًا على فهم القرآن الكريم، إذ تُدخل فيه ما ليس منه، وتُحرّف النصوص عن معانيها الظاهرة. وقد اتفق العلماء على ردّ هذه الأقوال، والاكتفاء بالتفسير الصحيح المعتبر. ومن هنا تتأكد أهمية الالتزام "بأصول التفسير"، والرجوع إلى "إجماع السلف"، وتجنب التفسير بالرأي المذموم.

مراجع المحاضرة

1. ابن تيمية، -مقدمة في أصول التفسير-.
2. ابن كثير، -تفسير القرآن العظيم-.
3. الطبري، -جامع البيان-.
4. القرطبي، -الجامع لأحكام القرآن-.
5. السيوطي، -الإتقان في علوم القرآن-.

[16] -التفسير والمفسرون-، ج 1

6. الزركشي، -البرهان في علوم القرآن-.
7. الذهبي، -التفسير والمفسرون-.

الخاتمة

إنّ علم أصول التفسير هو الميزان الذي يُوزن به الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وهو السياج الذي يحمي التفسير من الانحراف في العقيدة أو الفهم أو المنهج. ومن خلال هذه المحاضرات الخمس عشرة تبيّن لنا أن المفسِّر لا يمكن أن يبلغ مرتبة التحقيق إلا إذا استند إلى المنهج الأصولي الرَّاسخ الذي يجمع بين النقل الصحيح والعقل السليم، وبين المعرفة باللغة وأسباب النزول والسياق القرآني العام.

وقد عرضت هذه المحاضرات لمصادر التفسير المتعددة، ومناهجه، وضوابطه، وموقف العلماء من الروايات الإسرائيلية والرأي والاجتهاد، ثم تناولت اختلاف السلف والإجماع والتوجيه، حتى خُتمت ببيان ظاهرة الأقوال الشاذة وخطرها على الفكر التفسيري.

وفي ختام هذا العمل، نأمل أن تكون هذه المادة مرجعًا أكاديميًا يعين الطلبة على دراسة أصول التفسير بمنهج علمي تطبيقي، وأن تفتح أمام الباحثين آفاقًا جديدة في تطوير مناهج التفسير ومقارنتها، وفهم العلاقة بين النص واللغة والسياق في ضوء القواعد الأصولية الراسخة.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لطلابه ودارسيه، ومما يُقرّب من فهم كتابه العزيز.

قائمة المصادر والمراجع :

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مقدمة في أصول التفسير. تحقيق عدنان زرزور. القاهرة: دار المنار، 1986.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار المعرفة، 1407هـ.

ابن خُزيمة، محمد بن إسحاق. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. تحقيق عبد الله الدميجي. الرياض: مكتبة الرشد، 1992.

البيهقي، أحمد بن الحسين. شعب الإيمان. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار المعرفة، 1980.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، 1955.

الطيار، مساعد بن سليمان. فصول في أصول التفسير. الرياض: مكتبة التوبة، 2001.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. قواعد التفسير: جمعًا ودراسة. دمشق: دار القلم، 1994.

الذهبي، محمد حسين. التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة، 1976.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن. بحوث في أصول التفسير ومناهجه. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1983.

مجاهد بن جبر. تفسير مجاهد. تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد. القاهرة: دار الفكر الإسلامي، 1999.

جدول المحتويات

مقدمة 1
المحاضرة الأولى: "مفهوم أصول التفسير وأهم مراجعه" 6
- مقدمة 6
أولًا: تعريف أصول التفسير 6
ثانيًا: أهمية دراسة أصول التفسير 7
ثالثًا: أهم المراجع في أصول التفسير 7
خاتمة 8
مراجع المحاضرة 8
المحاضرة الثانية: حكم التفسير وأقسامه وطرقه 9
المقدمة 9
المبحث الأول: حكم التفسير 10
المبحث الثاني: أقسام التفسير 12
أولاً: التفسير بالمأثور (التفسير النقلي) 13
ثانياً: التفسير بالرأي (التفسير الاجتهادي) 14
ثالثاً: الجدول المقارن بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي 15
المبحث الثالث: طرق التفسير 17
أولاً: التفسير بالقرآن 17
ثانياً: التفسير بالسنة النبوية 18
ثالثاً: التفسير بأقوال الصحابة 19
رابعاً: التفسير بأقوال التابعين 19

خامساً: التفسير باللغة العربية 20
سادساً: التفسير بالاجتهاد والرأي المعتبر 20
المبحث الرابع: نقد بعض المناهج المنحرفة في التفسير 22
الخاتمة.....26
المحاضرة الثالثة: تفسير القرآن بالقرآن.....28
- مقدمة.....29
أولاً: تعريف تفسير القرآن بالقرآن.....29
ثانيًا: أهمية تفسير القرآن بالقرآن.....29
ثالثًا: صور تفسير القرآن بالقرآن.....29
رابعًا: منهج المفسرين في هذا الباب 30
خامسًا: ضوابط تفسير القرآن بالقرآن.....31
خاتمة 31
مراجع المحاضرة.....31
المحاضرة الرابعة: تفسير القرآن بالسنة 32
- مقدمة.....32
أولًا: تعريف تفسير القرآن بالسنة.....32
ثانيًا: أهمية السنة في تفسير القرآن.....32
ثالثًا: صور تفسير القرآن بالسنة 32
رابعًا: نماذج عملية من تفسير النبي ﷺ للقرآن.....33
خامسًا: ضوابط تفسير القرآن بالسنة.....33
خاتمة 34

مراجع المحاضرة.....34
المحاضرة الخامسة: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.....35
- مقدمة.....35
أولًا: تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة.....35
مبررات الاعتماد على تفسير الصحابة.....35
ثانيًا: منزلة أقوال الصحابة في التفسير 35
ثالثًا: أبرز الصحابة المفسرين 36
رابعًا: أمثلة من تفسير الصحابة.....36
خامسًا: ضوابط تفسير الصحابة 36
خاتمة 37
مراجع المحاضرة.....37
المحاضرة السادسة: تفسير القرآن بأقوال التابعين 38
- مقدمة.....38
أولًا: تعريف تفسير القرآن بأقوال التابعين.....38
مكانة التابعين في التفسير 38
ثانيًا: حجية تفسير التابعين.....38
ثالثًا: أشهر مدارس التفسير عند التابعين.....39
1- مدرسة مكة.....39
2- مدرسة المدينة 39
3- مدرسة العراق.....39
رابعًا: أمثلة من تفسير التابعين.....39

خامسًا: ضوابط تفسير التابعين.....39
خاتمة.....40
مراجع المحاضرة.....40
المحاضرة السابعة: تفسير القرآن باللغة.....41
- مقدمة.....41
أولًا: تعريف تفسير القرآن باللغة.....41
ثانيًا: أهمية اللغة في التفسير.....41
ثالثًا: أمثلة لتفسير القرآن باللغة.....42
رابعًا: جهود العلماء في تفسير القرآن باللغة.....42
خامسًا: ضوابط تفسير القرآن باللغة.....43
خاتمة.....43
مراجع المحاضرة.....43
المحاضرة الثامنة: تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد.....44
- مقدمة.....44
أولًا: تعريف التفسير بالرأي والاجتهاد.....44
ثانيًا: أنواع التفسير بالرأي.....44
1- التفسير بالرأي المحمود.....44
2- التفسير بالرأي المذموم.....45
ثالثًا: الأدلة على مشروعية التفسير بالرأي المنضبط.....45
رابعًا: شروط التفسير بالرأي المقبول.....45
خامسًا: أبرز المفسرين بالرأي.....46

خاتمة 46
مراجع المحاضرة.....46
المحاضرة التاسعة: تفسير القرآن بالإسرائيليات 47
- مقدمة.....47
أولًا: تعريف الإسرائيليات 47
ثانيًا: أسباب دخول الإسرائيليات في التفسير.....47
ثالثًا: أقسام الإسرائيليات.....47
رابعًا: مواقف العلماء من الإسرائيليات.....48
خامسًا: ضوابط التعامل مع الإسرائيليات.....48
خاتمة 49
مراجع المحاضرة.....49
المحاضرة العاشرة: اختلاف السلف في التفسير وأنواعه.....50
- مقدمة.....50
أولًا: معنى اختلاف السلف في التفسير.....50
ثانيًا: أسباب اختلاف السلف في التفسير 50
ثالثًا: أنواع اختلاف السلف في التفسير.....52
خامسًا: فوائد اختلاف السلف في التفسير.....54
خاتمة 54
مراجع المحاضرة.....55
المحاضرة الحادية عشرة: الإجماع في التفسير 56
- مقدمة.....56

أولًا: تعريف الإجماع في التفسير.....56
ثانيًا: حجية الإجماع في التفسير 56
ثالثًا: مصادر الإجماع في التفسير 56
رابعًا: أمثلة تطبيقية على الإجماع في التفسير.....57
خامسًا: ضوابط قبول الإجماع في التفسير.....58
خاتمة 58
مراجع المحاضرة.....58
المحاضرة الثانية عشرة: الأصول التي يدور عليها التفسير 59
- مقدمة.....59
أولًا: مفهوم أصول التفسير.....59
ثانيًا: أهم الأصول التي يدور عليها التفسير.....59
1- التفسير بالقرآن.....59
2- التفسير بالسنة 60
3- التفسير بأقوال الصحابة.....60
4- التفسير بأقوال التابعين.....60
5- التفسير باللغة العربية.....61
6- التفسير بالرأي والاجتهاد المنضبط.....61
ثالثًا: ضوابط التزام الأصول في التفسير 61
رابعًا: تطبيق عملي للأصول.....62
خاتمة 63
مراجع المحاضرة.....63

المحاضرة الثالثة عشرة: توجيه أقوال المفسرين 64
- المقدمة.....64
أولًا: تعريف توجيه أقوال المفسرين.....64
ثانيًا: أسباب تعدد أقوال المفسرين.....64
ثالثًا: أنواع توجيه أقوال المفسرين 65
رابعًا: ضوابط توجيه أقوال المفسرين.....65
خامسًا: تطبيقات عملية.....66
الخاتمة.....66
مراجع المحاضرة.....67
المحاضرة الرابعة عشرة: التفسير والقراءات 68
- المقدمة.....68
أولًا: تعريف القراءات وعلاقتها بالتفسير.....68
ثانيًا: أثر القراءات في التفسير 68
ثالثًا: أنواع تأثير القراءات في التفسير 69
رابعًا: ضوابط التعامل مع القراءات في التفسير.....70
خامسًا: تطبيقات عملية.....70
الخاتمة.....70
مراجع المحاضرة.....71
المحاضرة الخامسة عشرة: الأقوال الشاذة في التفسير.....72
- المقدمة.....72
أولًا: تعريف الأقوال الشاذة في التفسير 72

ثانيًا: أسباب ظهور الأقوال الشاذة 72
ثالثًا: ضوابط تمييز الأقوال الشاذة 73
رابعًا: أمثلة تطبيقية للأقوال الشاذة.....73
خامسًا: الموقف العلمي من الأقوال الشاذة 74
الخاتمة.....74
مراجع المحاضرة.....74
الخاتمة 76
قائمة المصادر والمراجع :.....77